الآفاق
مجلة أسبوعية تهتم بشئون الحوزات العلمية
السنة الثانية
الـ ٤٢
الإثنين
٢١ ربيع الثاني ١٤٤٥ هـ.ق
٦ نوامبر ٢٠٢٣ م
٨ صفحات
٢٠٠٠٠ ريال

غياب الاخلاق فى مجزرة غزة
على رضا مكتب دار؛ مدير التحرير للآفاق | ١
ثوابت العدوان في العقيدة الصهيونية
د. علي المؤمن | ٨

مقاله

غياب الأخلاق في مجزرة غزة

تأملٌ في دور الأخلاق لتنفيذ قواعد القانون الدولي الإنساني

بقلم: علي رضا مكتب دار؛ مدير التحرير للآفاق

إن الإنسان (طيلة التأريخ) إستفحل أطماعه وغلى حرصه على إمتداد وتوسيع دائرة مملكاته، فانجر هذا الإستفحال والغليان إلى شب نيران الحروب والإشتباكات الدامية الطويلة، التي هدّمت أساس الحضارات والثقافات المتنوعة وإنجرت إلى هدم وخراب الأسر والعوائل وانتهت إلى بثّ الفقر والفساد مدى الأعصار، والحال أن الحياة تحت ظل الأمن والعافية قد كانت منذ بداية الخلقة وماتزال تكون إلى نهاية العالم، منتهى أمل الإنسان وغايته القصوى ولكن ما أفظع المحن والآلام التي أحسها الإنسان بجسده وروحه من حروب أوقد نيرانها أطماع الجفاة وشبّ لظاها حرص الطغاة على الإنسانية وما أعظم عدد الضحايا الأبرياء الذين قد نُهب أموالهم وهتك حريمهم وأريق دمائهم لكي تنال الطغاة والجفاة إلى مطامعهم الحيوانية وتخمدوا نيران غضبهم وتطفئوا هياج شهوتهم بإخماد أنوار الإنسانية.

ورغم محاولات الأنبياء والمصلحين، قد استمرّت هذه النزاعات والحروب الدامية طيلة التأريخ ولم يقصّر من نطاق الحروب المدمرّة؛ بل زاد عددها ويمكن أن يقال إن الإنسان قد شاهد حروبا كثيرة مدى التأريخ ولم يمض عليه أيام بلا حروب وإراقة الدماء أكثر من ٢٥٠ عاما مع أنه في هذه السنين القليلة أيضا كان ظلّ التهديد المشؤوم وعدم الأمن، قد أتعب وجرّح روحه. ولا ندرى، لعلّ إعجاب الملائكة عن خلقة الإنسان واستفهامهم عن الله تبارك وتعالى عن سرّ خلقة الإنسان كان منبعثا عن علمهم بوجود تلك الميزة في الإنسان التي تكون أساسا لإيقاد نيران الحروب المدمّرة التي قد ملأ ذكرها صفحات ضخمة من التأريخ، فسألوا الله تعالى: «اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء». ولكن أجابهم الله تبارك وتعالى فقال: «انى اعلم ما لا تعلمون». وبحقّ نسأل، ما ذا رأى خالق الكون في وجود الإنسان فأجاب الملائكة بذلك الجواب وردّ إعتراضهم على خلقة الإنسان؟

لاشكّ أن هذا الجواب هو السرّ المكنون في خلقة الإنسان. فقد كان مسطورا في العلم الإلهي الأزلي أنه على مدى التأريخ وفي قطعات منها سيظهر أناسٌ قد أخمدوا نيران هوى السلطة والتفوّق وغضّوا أعينهم عن بروق مطامع الدنيا وعصموا أنفسهم عن الإنخداع بمفاتنها وحاولوا في طريق سعادة البشرية وجاهدوا لنيل الإنسان إلى قمّة الكمال والعزّة وبذلوا أنفسهم في هذا الطريق حتى يذيقوا أبناء البشرية طعم المحبة والمودّة والرحمة ويعيشوا بعضهم مع بعض في الكرامة والعزّة ويساعدوا بعضهم بعضا في طريق السعادة والكمال ويتجنبوا بأنفسهم عن إيقاد لظى الحرب وإسالة الدماء الزكية، المضادّة مع فطرتهم الإلهية؛ الفطرة التي ارتوت من ينبوع الفيض الإلهي وتحلّت بكل حسن وروعة. الفطرة التي جعل الإنسان مسجودا للملائكة وجعلها يذعن الملائكة بمكانة الإنسان المميزة في عالم الكون! فهؤلاء الأنبياء العظام قد أثبتوا أن القتل وسفك الدماء ليس من الصفات الذاتية للإنسان، بل الحرب والجريمة حصيلتان لطغيان أطماع البشر ووليدتان للتعسف والتوسع الذي يمارسه الطغاة ممن يحاولون جَعلَ البشرية ضحيّة لأهوائهم ومصالحهم الشخصية وأن الفطرة الإلهية الطامحة إلى كشف الحقيقة والمرتوية من ينبوع الفيض الإلهي والمتصفة بكل ما هو حسن، هي الأصيلة في الإنسان، وهي التي إستحقت وأوجبت سجود الملائكة للإنسان.

ولكن في تلك الظروف القاسية، ما يُثير الحسرة والحزن كثيرا، هو تحميل الأعباء والمحن على أكتاف الفئات التي لم تشاركوا في الحرب أو إنتهين عن المشاركة فيها وانعزلن عن الحضور في المعارك الدامية ومنهنّ النساء والأطفال وكذا الشيوخ. ومع الأسف، تلك الفئات هنّ أكثر ضحايا تلك الحروب الدامية «كما نشاهدها اليوم في غزّة» التي سببتها المطامع الشيطانية لأرباب القدرة والثروة من دون أن يكون لهن طمع في التوسّع والتحدّي مع خصومهم ولكن قد وطئت عزّتهم وكرامتهم وأهرقت دمائهم ورضّت صدور عزّهم تحت أقدام خيل هوى الجفاة والطغاة.

إن في هذه الأجواء المظلمة (على طيلة التأريخ) الفطرة البشرية السليمة قد أجبر الإنسان على رعاية حال هذه الفئات وتمهيد قوانين وقواعد عامّة لحمايتهن وحفظهن عن التحطّم تحت رُحى الحرب. ولكن مقدما على الجهود البشرية العامة لتقليل المعاناة والمحن المتوجهة إلى هذه الفئات المظلومة من قِبل شبّ لظى الحروب، هؤلاء هم الأنبياء الإلهي الذين كانوا معلموا البشر وأطبائه الروحاني، قد أرّسُّوا قواعد خاصة لتحسين أوضاع طرفي المخاصمة وتواصوا الناس برعاية تلك القواعد ومستندا على الأخلاق الحسنة والجميلة الإلهية، قد مهّدوا نسخاً متناسبة لكل الأحوال والظروف على مدى الأيام قاصدا المنع أو (على الأقل) التقليل عن المضارّ والأعباء الموجهة إلى تلك الفئات غير المشاركات في معركة الحروب. فهذه هي النفخة المسيحية للأنبياء الإلهي التي يشفي أسقام أبناء آدم الروحية والجسدية. هؤلاء الأنبياء العظام الذين كانوا في قمّة الإنسانية (فكانوا خبراء بميزات الإنسان وحوائجه الأساسية) قد بنوا قواعد عامة على الأسس الأخلاقية المتجذرّة بجذور فطرية لتلبية حاجة الإنسان إبّان الحروب إصلاح أموره وكلما كان أمر الحكومة بأيديهم ما فرّطوا عن إجراء مثل هذه القواعد المبنية على الأخلاق الفاضلة في المجتمع ومن جانب آخر، كل ملة وقوم على مدى التأريخ (مبنياً على فطرتهم الإلهية) قد وضعوا قواعد وقوانين كثيرة لتحصيل غرض المذكور حتى إنتهت الأمر إلى وضع قوانين ومعاهدات دولية في مدينة جنيف في سوييسرا لحماية ضحايا الحروب الدولية تحت عنوان القانون الدولي الإنساني في أواخر القرن الثامن عشر من ميلاد المسيح عليه السلام ولكن ما كانت هذه القوانين والمعاهدات إلاّ ترجمة لنداء الضمير الإنساني وصدى الآيات السماوية المبثوثة في مطايا تعاليم الأنبياء الإلهية المنطبقة على الفطرة الإنسان الطاهرة. فبعد قرون متمادية من التحدّيات ومرور ركب الحضارة الإنسانية بمنعطفات خطيرة، وتحميل مختلف ألوان العناء والألم على الأجسام النحيفة الأبرياء، تمكّن الإنسان من صياغة ميثاق مكتوب على لوح الضمير الإنساني الناصع، وثيق الصلة بفطرته الإلهية التي قال عنها: «فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» فقد أرسى الإسلام أساس قوانينه وأحكامه لحماية حقوق ضحايا الحروب على الفطرة السليمة الإنسانية الحاكمة بأصول الفضائل الأخلاقية التي يجب مراعاتها خلال النزاعات والحروب حتى يقلّل من نطاق الخسارات والإصابات الجسيمة التي تتوجه نحوأطراف النزاع ولاسيما الأبرياء الذين لم يشاركوا في الحرب أو اعتزلوا عنها كالنساء والأطفال والشيوخ.

إن الفحص عن المبادىء الأخلاقية لتلك القواعد والقوانين الدولية الإنسانية من منظار إسلامي على أساس آيات القران الكريم والسنة النبوية وكذا سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام يرشدنا إلى أخذ موقف صحيح تجاه الحروب المدمرّة والظروف القاسية التي تفرض على الشعوب ولاسيما على الأبرياء منهم وخاصة الأطفال والنساء (كما في غزة اليوم) للحماية عنها والحفاظ على كرامتها، فنخطو خطوة إلى الأمام في انتباه أطراف النزاع لرعاية الأصول الأخلاقية المبتنية على الفطرة الإلهية بالنسبة إلى خصومهم؛ كي لايقعوا على شفا جرف هار، فانهاروا به في نار جهنمِ الحروب المدّمرة وتتلطّخ أيديهم بدم الأبرياء المظلومين الذين يتولى أمرهم الله العدل الحكيم.

ما نشاهده اليوم من الأحداث المفظعة التي تجري في مجزرة غزة، يكون أبرز أنموذج من غياب الأخلاق في الحرب، الذي جعل الكيان الصهيوني يضع قواعد القانون الدولي الإنساني تحت أقدامه الرجسة ويذبح المباديء الأخلاقية التي تلزم مراعاتها طوال الحروب على أساس تعاليم الأديان السماوية، فيهجم المحتلين على المدنيين في وطنهم العربي والإسلامي ولا يتجنب وقوع الأضرار عليهم، فيرتكب العنف والقتل الأعمى والتصعيد ويتجاوز الخطوط الحمراء، واحدة تلو أخرى.

المصدر: مقتطف عن رسالة دكتوراة للمؤلف المعنون بـ: «المباديء الأخلاقية للقانون الدولي الإنساني في الإسلام (حقوق النساء والأطفال والمسنّين أنموذجا)»

الأخبار الدولية

■ **المرشد الإيراني الأعلى: على الدول الإسلامية أن توقف تصدير النفط والمواد الغذائية لإسرائيل**

طالب المرشد الإيراني الأعلى آية الله علي خامنئي الدول الإسلامية بوقف تصدير النفط والمواد الغذائية لإسرائيل مؤكدا أن على الدول الإسلامية أن تطالب بوقف فوري للجرائم الإسرائيلية في قطاع غزة.

ميدل ايست

■ **علماء ومؤسسات إسلامية يبعثون برسالة لشيخ الأزهر بشأن غزة. دعوه لاتخاذ موقف تاريخي لفك الحصار عن القطاع**

وجه علماء ومؤسسات إسلامية حول العالم، يوم الثلاثاء ٣١ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٣، رسالة إلى شيخ الأزهر الشريف الشيخ أحمد الطيب يدعونه فيها إلى اتخاذ موقف تاريخي بالتوجه إلى معبر رفح لفك الحصار عن غزة وإيصال المساعدات الإنسانية للقطاع، وذلك في ظل المجازر التي يقوم بها الاحتلال الإسرائيلي بحق الشعب الفلسطيني وإصراره على عدم إدخال المساعدات اللازمة والمطلوبة للفلسطينيين في غزة.

عربي بوست

■ **تظاهرات في المغرب وتونس نصرةً لغزة وتنديداً بمجازر الاحتلال**

تظاهرات تنطلق في عدّة مدن بالمغرب وتونس بعد المجزرة التي ارتكبها الاحتلال الإسرائيلي في أحد الأحياء السكنية في مخيم جباليا شمالي قطاع غزة، والمتظاهرون يطالبون بإجراءاتٍ عملية لوقف العدوان الإسرائيلي.

الميادين

■ **البعثة الطبية النرويجية: نطالب الدول العربية بقطع الغاز والنفط عن أميركا**

طالب مسؤول البعثة الطبية النرويجية إلى غزة، الدكتور مادس غلبرت، إسرائيل بإدخال الماء والوقود والغذاء إلى قطاع غزة فورا، وأن توقف حربها على القطاع المحاصر.

وطلب الطبيب النرويجي من الدول العربية أن تقطع الغاز والنفط عن الولايات المتحدة، وقال «ربما هذا سيوقف القصف فورا» معتبرا أن مجازر المدنيين تحت الحصار تتطلب تحركا عربيا موحدا.

الجزيرة

■ **القوات المسلحة اليمنية تعلن ضرب كيان العدو الصهيوني بدفعة كبيرة من الطائرات المسيرة**

أعلنت القوات المسلحة اليمنية، مساء اليوم ، إطلاق دفعة كبيرة من الطائرات المسيرة خلال الساعات الماضية على أهداف عدة في عمق الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة، مؤكدا وصول الطائرات إلى أهدافها بفضل الله.

تسنيم

■ **عبداللهيان: إسرائيل تواصل ارتكاب المجازر وجرائم الحرب وستدفع ثمنًا باهظًا**

وشدد عبد اللهيان على أنه إذا لم يتم إيقاف الحرب في غزة، فستتحمل الولايات المتحدة وإسرائيل وكل داعمي جرائم الحرب مسؤولية خروج الوضع عن السيطرة في المنطقة.

قال وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبد اللهيان، إنه «إذا استمرت الهجمات ضد النساء والأطفال في غزة فستكون عواقبها وخيمة للغاية، وإن داعموها سيدفعون ثمنًا باهظًا».

جاء ذلك في تصريحات، الأربعاء، خلال مؤتمر صحافي مشترك مع نظيره التركي، هاكان فيدان، بالعاصمة أنقرة.

عرب ٤٨

■ **(أكسيوس): السعودية مازالت (مهتمة) بتطبيع العلاقات مع إسرائيل**

ذكر موقع (أكسيوس) الأميركي، الثلاثاء، أن «السعودية لا تزال مهتمة» بمحاولة التوصل لاتفاق تطبيع العلاقات مع إسرائيل، لافتا إلى أن وفدا من الكونغرس الأميركي زار المملكة بعد اندلاع الحرب بين إسرائيل وحركة حماس.

وقال (أكسيوس) إن «وفدا من الكونغرس زار السعودية في زمن الحرب، حيث التقى ولي العهد السعودي، الأمير محمد بن سلمان، وتحديدا قبل ١٠ أيام».

وقال مصدر مطلع على المحادثات في السعودية للموقع الأميركي، إن «الرسالة التي سمعها وفد الكونغرس الذي يترأسه السيناتور الجمهوري، ليندسي غراهام، من المسؤولين السعوديين، هي أنهم ما زالوا مهتمين بمحاولة التوصل إلى اتفاق تطبيع مع إسرائيل».

شفقنا

■ **بمشاركة ٣٠ خطاطًا العتبة الحسينية المقدسة**

تفتتح معرض النبأ العظيم لخطاطي القرآن الكريم

أقامت دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة- مركز والقلم للخط العربي معرض النبأ العظيم لخطاطي القرآن الكريم بالتعاون مع تجمع خطاطي العراق اليوم السبت الموافق ٢٨ /١٠ /٢٠٢٣م في منطقة ما بين الحرمين الشريفين.

واحة

■ لقاء

أهمية المؤسسات الدينية والاكاديمية في النهوض الثقافي والمعرفي

في لقاء مع سماحة الشيخ الدكتور عباس كاشف الغطاء

ان النهوض العلمي والمعرفي، وبث روح التفكّر والتأمّل، وإيجاد ثقافة القراءة عند الناس، من أهم أسباب النهوض بالواقع الثقافي الذي يعيشه الشعب العراقي في هذه الفترة العصيبة، ومن هنا تظهر أهمية المؤسسات الدينية والاكاديمية وغيرها من مراكز الدراسات ودورها في النهوض الثقافي والمعرفي، وفي تطوير واقع النشاط العلمي والارتقاء بالمشهد الثقافي الذي من خلاله نستطيع أن نبني ثقافة متكاملة متحضرة، وهذا يتطلب تهيئة جوانب عدة لتحقيقها، لذا حملنا هذه الافكار والهموم الى سماحة الشيخ الدكتور عباس كاشف الغطاء لاسيما وهو خريج الدراستين الحوزوية والاكاديمية لنناقشها معه، فكان حوارا هادفا بناء لمعرفة اسباب هذا التراجع المعرفي.

■ **ما تقييمكم للواقع العلمي والفكري في العراق؟**

الواقع ان المادة الفكرية والعلمية التي تدّرسها المؤسسات الاكاديمية والبحثية لم تُنمِ في الطالب والباحث روح الابداع والانتاج ولم تفتح له باب الاجتهاد، نعم هي تحصل له ما فاته من المعرفة فالمؤسسات الاكاديمية لم تُبنِ فكراً وإنما تصنع فكراً متلقيا وتابعاً فالطلبة يتخرجون بحمولة معرفية ثقيلة ضئيلة الفائدة.

كما ان على المؤسسات الفكرية والعلمية ان تترفع من النزعة الاقليمية والقطرية والمذهبية والأثنية، وعلى وسائل نشر الثقافة والعلم من الكتب والصحف والمجلات والفضائيات والاذاعات التي تهتم بالعلم والثقافة ليس على حساب الاخلاق والتربية والدين.

وأحذر من ظهور ثقافات شديدة التباين داخل المجتمع العراقي يصعب التحاور والتواصل بينها مثل الثقافة الديمقراطية و الثقافة الدينية والثقافة العشائرية القبلية وتركيزها في المجتمع والعمل على أظهار ملامحها ومشخصاتها، ومما زاد الطين بلة ان الاحزاب السياسية تعتمد في برامجها الانتخابية على تعميق الفوارق بين هذه الثقافات فعلى الاساتذة والباحثين معالجة هذه الفوضى من الثقافات.

■ **هل للمناهج التدريسية التي تتبعها بعض المؤسسات الاكاديمية والثقافية دور في ذلك ؟**

برأيي ان خطر التعليم المغلوط والمتطرف والفكر المتشدد أعظم من خطر الجهل على المجتمع، فان خطر الجهل محدود وخطر سوء التعليم واسع الانتشار حتى انه ليجعل من ينتظر منه الصلاح منبعاً للفساد.

وينبغي على العلمية التعليمية التركيز على ذهن الطالب الغاية الصحيحة منها معرفة أخرى. لا قراءة لنستخرج منها معرفة أخرى. لا قراءة العلوم لتحصيل معلوماتها فحسب كما هو الظن لدى كثير من طلابنا لأجل النجاح فهذه الغاية ضررها أكبر من نفعها.

كما الاهتمام بقوة المادة المعرفية والعلمية التي تدرس للطالب، والملحوظ ان المناهج الدراسية مازالت ضعيفة في مؤسساتنا العلمية حيث تدرس في بعضها نظريات وافكار تناقض ومعتقدات الطالب مثل نظرية دارون ونظرية فرويد ومسألة نشأة الكون وغيرها.

والحقيقة هنالك في بعض المناهج افكارٌ ميتةٌ تنتج فكراً ميتا وهي افكار التي تهدم الأصول وتستهزئ بالقيم أي انحرفت عن مثلها الاعلى وأفكار ميتة فقدت قيمتها الثقافية وأصبحت بالية مثل بعض الافكار المستوردة المخالفة لثقافتنا.

■ **برأيكم لماذا يشهد العالم اليوم تصاعدا في التطرف الفكري والعقدي؟**

ان موجة التطرف تتصاعد بشكل غير مسبوق في منطقتنا، والمسلح منه بالخصوص بدعوى العودة الى الخلافة، تحت غطاء السلفية ، والتطرف هو كل ما يناقض الاعتدال زيادة او نقصان، والخروج عن القيم والمعايير والعادات الشائعة في المجتمع، وتبني قيما ومعايير مخالفة لها والتطرف يولد الارهاب والارهاب أمر مرفوض.

■ **اذن ما ابرز اسباب التطرف؟**

الخصها بالاتي:

الاول: الجهل بالدين والفكر والثقافة، فالجاهل تقوده حلاوة الطرح وسلاسة النطق وهيبة المتحدث فلا يعتد بالأصول ولا يهتم بالثوابت، إنما هو تابع على باطل من يوجه، والجهل كذلك في الفكر والثقافة والادراك، فالتبعية العمياء غطت كل قدرات التابع حتى أصبح التلقي عنده فقط من طرف شيخه.

الثاني: اليأس، فكثير من المتطرفين أصبح متطرفاً عندما شعر بان جميع الأبواب أغلقت أمامه، فلا يجد نفسه الا أن يشفي غليله من المجتمع، الذي يعتقد أنه سبب يأسه، دون أن يتحرى الظلم والوقوع في الذنب.

ثالثاً: الإيجار ، وهو استئجار من يقوم بالتطرف أو يقود المتطرفين أو يديرهم ويوجههم، وهذا في الغالب أسلوب العمل مع القادة والرؤساء، وذلك مقابل مبالغ كبيرة ، لقد اصبح التطرف في عصرنا الحالي تجارة تحقق الأرباح وتمكن الأهداف باسم الدين والقيم والاخلاق، وانبرى لها علماء السوء واستنبطوا من الاحكام أشباه أحكام لا تمت للإسلام بصلة من بعيد أو قريب عدُّوها من أصول الدين وثوابته فأحلوا الحرام وحرموا الحلال وأجازوا الممنوع ومنعوا المفروض وغيروا على المسلمين دينهم، ونسوا أننا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلاّ هالك، فأننا متمسكون بكتاب الله عزوجل وهدي نبيه وأله بيته صلى الله عليهم أجمعين، وسائرون بتوجيهات مرجعيتنا الرشيدة التي اصبحت رمزاً للأمن والسلام والأخوة واحترام حقوق الانسان.

■ **ما دور المؤسسات الدينية والفكرية في الحفاظ على المجتمع من الضياع؟**

تقع على عاتق المؤسسات الدينية والاكاديمية الكثير من الاجراءات والاعمال التي ينبغي القيام بها، ولعل ابرزها الاتي:

١-نشر قيم الاخلاق في المجتمع من خلال الشرائع الإلهية السماوية (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) والقيم الانسانية التي اهتدى اليها الانسان عن طريق العقل والتمييز بين الخير والشر والمنفعة والمضرة والحسن والقبح.

٢-الاهتمام بمؤسسة الجامعة والجامع فبين الجامع والجامعة تبنى الأوطان.

٣-بيان ان الدين هو العامل الأساسي والرئيسي في وقاية درء المفاسد والمخاطر عن الانسان المعاصر والمجتمع.

٤-الدعوة الى تأسيس وتأصيل حقوق الانسان وحمايتها، وذلك من خلال كون الانسان المعاصر عليه أن يؤمن بعضويته في فضاء المجتمع البشري العام، بتقاسمه الحقوق، ويضطلع بنفس الواجبات.

■ **ذكرتم تأصيل حقوق الانسان فما أبرز تلك الحقوق؟**

ان اهم الحقوق حق الحياة، وبيان ان الاسلام ارتقى بالحياة إلى ان جعلها مقدسا من مقدسات لحفظها فحث على الزواج وتأسيس الأسرة، وشرع القصاص حفظا للحياة، وجاءت أحكام الشرع منصبة على حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

وثانيها حق الحرية، فالانسان حر فيما يختاره من أفكار والتصرف في أمواله فلا أكراه في الدين، فقد خاطب الله لخير البشر الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وأله وسلم بان لايكره الناس على الايمان، وانما يرشدهم (أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) فغيره من باب أولى ان لا يكره الناس.

ان الحرية حق ألهي وهبه للناس مثل حق الحياة لا ينبغي لاحد ان يسلبه، وان الأقرار بالمواطنة التي دعت إليها المؤسسة الدينية والفكرية التي تذوب فيها الجنس واللون والعرق داعية للحرية وخادمة للتنوع.

المصدر: مجلة الولاية

شهداء الفضيله

الشهيد السيّد محمد طاهر الحيدري

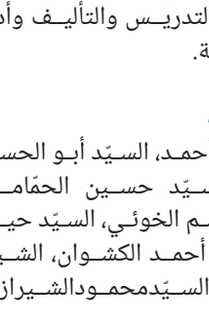

■ **اسمه ونسبه**

السيّد محمّد طاهر ابن السيّد أحمد ابن السيّد مهدي الحسني الحيدري، وينتهي نسبه إلى عبد الله المحض بن الحسن المثنّى ابن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

■ **والده**

السيّد أحمد، كان أحد رجالات ثورة العشرين ١٩٢٠م والموافق ١٣٣٨هـ، التي اندلعت بقيادة الميرزا محمّد تقي الشيرازي ضدّ الاحتلال البريطاني للعراق.

■ **ولادته**

ولد عام ١٣٢٧هـ في الكاظمية المقدّسة بالعراق.

■ **دراسته وتدريسه**

بدأ بدراسة العلوم الدينية في مسقط رأسه، ثمّ سافر إلى النجف لإكمال دراسته الحوزوية، ثمّ سافر إلى سامرّاء لأداء واجبه الديني في التبليغ وإرشاد الناس، وبعدها رجع إلى بغداد واستقرّ بها، مشغولاً بالتدريس والتأليف وأداء واجباته الدينية.

■ **من أساتذته**

والده السيّد أحمد، السيّد أبو الحسن الإصفهاني، السيّد حسين الحمّامي، السيّد أبو القاسم الخوئي، السيّد حيدر الصدر، السيّد أحمد الكشوان، الشيخ علي الزنجاني، السيّد محمود الشيرازي.

■ **من تلامذته**

السيّد إسماعيل المرعشي، الشيخ عبد الرضا الروحاني، السيّد محمّد علي الطباطبائي، نجله السيّد محمّد.

■ **من نشاطاته**

إمام جماعة جامع المصلوب في بغداد. مؤسّس مكتبة عامّة في جامع المصلوب. عضو في جماعة العلماء التي تأسّست سنة ١٣٧٨هـ لمحاربة التيّار الإلحادي في العراق.

■ **من مؤلّفاته**

كتاب في الأُصول، كتاب في أحكام وآداب الزواج، كتاب في مناسك الحج، كتاب في الدروس الدينية، شرح تبصرة المتعلّمين للعلّامة الحلّي.

■ **اعتقاله**

أُعتقل من قبل أزلام النظام البعثي في العراق، وزُجّ به في السجن، وهناك تعرّض لضغوط هائلة من أجل أن يُصدر بياناً يُؤيّد الحرب العدوانية التي فرضها الطاغية صدام على الجمهورية الإسلامية في إيران عام ١٤٠٠هـ، ولكنّه رفض ذلك وصمد تحت التعذيب الوحشي، ثمّ قاموا بدسّ السمّ إليه، وأطلقوا سراحه، فلم يلبث سوى أيّام حتّى انتشر السمّ في بدنه، وفاضت روحه الطاهرة.

■ **استشهاده**

استُشهد في السادس من ذي الحجّة ١٤٠٠هـ على يد أزلام النظام البعثي في العراق، ودُفن في صحن الإمامين الكاظمين؟ عليهما السلام .

علماء وأعلام

الشيخ احمد النراقي قدس سره

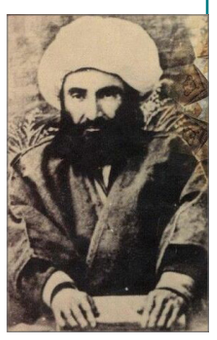

■ **أسمه ونسبه:**
هو الشيخ أحمد بن الشيخ محمد مهدي بن أبي ذر النراقي الكاشاني، ولد في قرية (نراق) من قرى كاشان في إيران، في ١٤ من جمادى الآخرة سنة ١١٨٥ هـ.ق، وقيل سنة ١١٨٦.

ومن جملة صفاته قدس سره أنه كان وقوراً غيوراً، صاحب شفقة على الرعية والضعفاء، وهمّة عالية في كفاية مؤوناتهم وتحمل أعبائهم، كان له من البنين ثلاثة، أشهرهم وأعظمهم ملا محمد، فقد كان عالماً جليلاً فاضلاً نبيلاً، صاحب تصنيف، وقد توفي بكاشان، والآخر ميرزا نصير الدين، له مصنّفات، منها شرحه على الكافي.

والثالث ملا محمد جواد، وهو عالم فاضل تقي نقي، فقيه فطن.

وكان له قدس سره من البنات واحدة، هي حليلة ملا أحمد النطنزي، ومن أبنائها الميرزا أبو تراب.

■ **دراسته:**
درس قدس سره مقدمات دروسه من الصرف والنحو والسطوح وغيرهما في بلده، ثم درس المنطق والرياضيات والفلك على اساتذة الفن حتى برع فيها وبلغ درجة عالية غبطه عليها زملاؤه. ثم قرأ الفقه والاصول والحكمة والكلام والفلسفة عند والده.

وقد امتاز من أوائل عمره بحدّة الذهن النقّاد والذكاء الوقّاد، وهذا ما أعانه في تسلمه مراحل الفضل والعلم بالسرعة المذهلة.

رحل إلى العراق، عام ١٢٠٥هـ لمواصلة دراسته الحوزوية. فحضر في النجف الاشرف على اكابر علمائها كالسيد محمد مهدي بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء، فارتوى من نمير منهالهم العذب بقدر ما اراد.

ثم قصد كربلاء لغرض الاستفادة والاستزادة من نور العلم أكثر فاكثر فحضر دروس السيد علي الطباطبائي والسيد محمد مهدي الشهرستاني، وقد حكى في (نجوم السماء) عن (الروضة البهية) قوله: سمعت أنّ ملا أحمد كان يحضر درس استاذ الكل الوحيد البهبهاني برفقة والده.

عاد قدس سره إلى كاشان فانتهت إليه الرئاسة بعد وفاة والده عام ١٢٠٩هـ. وحصلت له المرجعية، وكثر اقبال الناس عليه وصار من أجلّة العلماء، ومشاهير الفقهاء.

غادر بلده مرة أخرى الى العراق سنة ١٢١١هـ لغرض الزيارة والاتصال بالشخصيات العلمية هناك.

وإن أقوى دليل واسطع برهان على مكانته العلمية وشهرته الطائلة أنّ الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري رحل إليه للحضور عليه والافادة منه.

■ **من أساتذته:**
«الشيخ محمد باقر الاصفهاني المعروف بـ (الوحيد البهبهاني)؛ السيد محمد مهدي بحر العلوم؛ السيد محمد مهدي الشهرستاني؛ الشيخ جعفر كاشف الغطاء؛ السيد علي الطباطبائي؛ أبوه الشيخ محمد مهدي المعروف بالمحقق النراقي».

■ **من تلامذته:**
- الشيخ مرتضى الانصاري.- السيد محمد تقي البشت المشهدي.- أخوه الشيخ أبو القاسم.- نجله الشيخ محمد.- الشيخ محمد حسن الجاسبي.- السيد ابو القاسم الحسيني.

■ **مؤلفاته:**
قد صنف المحقق قدس سره ملا أحمد النراقي الكثير من الكتب الفقهية والأصولية والأخلاقية، طبع منها البعض، وبقي الآخر ليرى النور، وهذه قائمة بها كما جاء في كتاب (الذريعة) وغيره:
- مستند الشيعة في أحكام الشريعة؛
- منهاج الأحكام في أصول الفقه؛
- مفتاح الأحكام في أصول الفقه؛
- أساس الاحكام في تنقيح عمدة مسائل الأصول بالأحكام؛
- أساس الأحكام؛
- سير الأمة وبرهان الملة؛
- شرح بتجريد الاصول، في سبعة مجلدات؛
- عوائد الاتمام في مهمات أدلة الاحكام؛
- هداية الشيعة في الفقه (مختصر)؛
- اسرار الحج؛
- رسالة في اجتماع الامر والنهي؛
- الرسائل والمسائل؛
- ديوان شعره الكبير (بالفارسية)؛
- كتاب في التفسير؛
- لسان الغيب.

■ **وفاته:**
توفي قدس سره ليلة الأحد في الثالث والعشرين من ربيع الثاني ١٢٤٥هـ، ودُفن في الصحن العلوي المطهر في النجف الأشرف.

■ مقاله

أدوار الفكر الأصولي عند الشيعة

■ بقلم المرحوم السيد هاشم الهاشمي رحمه الله

عند مجيء عهد السلاجقة تحول أهل السنة إلى مرحلة التقليد المحض، وأخذ الشيعة نتيجة للتضييق عليهم من التقليل من المعارضة، ولكن بعد غزو التتار وحدوث الحرية الفكرية نوعاً ما ظهر المحقق الحلي رحمه الله والعلامة الحلي رحمه الله ليواصلوا نفس ذلك الأسلوب الأصولي، وكتاب التذكرة والمعتبر يتعرض فيهما كثيراً الآراء العامة، وغيرها من المؤلفات في مجال الفقه المقارن، كما أن هناك بعض المؤلفات ألفت في مجال الفقه المذهبي، ولكن هذه المرحلة كانت قصيرة، ورغم قصرها نرى أن بعض أهل السنة قد تأثر بالفكر الشيعي، كابن تيمية، الذي يعتبر من المحاربين للشيعة، قد تأثر في آرائه الفقهية بالفقه الشيعي في جملة من المسائل، كبعض مسائل الطلاق، كما أشار لذلك أبو زهرة في كتابه ابن تيمية، وهو قد اشتغل في أواخر عمره بالفقه، واعتبر مجددا في الفقه لتلك المسائل التي اتّبع فيها الفقه الشيعي.

اعتقد أن معيار الدور يجب أن يكون بملاحظة حدود المعارضة والمنافسة والمبارزة ، وانتهاء الدور بانتهاء مرحلة المعارضة هذه.

وتوضيح هذه الفكرة: لا إشكال أن المنافسات الثقافية من وسائل تقوية الفكر وتنميته كسائر المنافسات، فكما أنّ سائر العلوم نتيجة التنافس والمسابقة بين المجتمعات تترقّى وتنمو وتتطور، وهكذا المجال التشريعيّ أيضا فإنه يترقّى على هذا الأساس.

وعلى ضوء هذا الأساس لا بدّ أن نلاحظ علم الأصول الشيعي من أوّل بزوغه في عهد النبي صلى الله عليه وآله وما بعده، كما ذكرنا بأنّ البحوث القانونية نشأت نتيجة للتشريعات التي أصدرها الخلفاء والتي اعتمدوا فيها على آرائهم دون أن يتّبعوا نصوص الشرع فيها، ومنعهم عن تدوين السنة، وقولهم بالقياس والاستحسان، وغيرها من المباحث التي أوجدت المناظرات والمناقشات منها، ومثل هذه المناظرات في طبيعتها لا بد أن تعتمد على قواعد وأصول، وذكرنا رواية سليم بن قيس الهلالي، ورواية المسمعيّ، قد اشتملتا على جملة من الأصول، وبأنه يوجد في الروايات ناسخ و منسوخ، و عام و خاص، ومقاييس التمييز بين السنن والفرائض وغيرها من القواعد التي وسّعها علماؤنا بعد ذلك.

ففي هذا الدور واجه الشيعة مثل هذه التشريعات المعتمدة على أسلوب التشريع عند أهل السنة، وأصول التشريع عند أهل الرأي، وهم أهل السنة العراقيين تعتمد القياس والاستحسان، وعند أهل الحديث فتعتمد حجية الخبر و خبر ثقة عن ثقة، فمجرد أن يروي الخبر ثقة عن ثقة يكون هذا الخبر معتبرة بعكس العراقيين الذين لم يكونوا يعتمدون على الأخبار كثيرة، حيث كانوا يلتزمون بلزوم النقد الداخلي والمقايسة بين متن الرواية والأصول، حيث ذكرنا في مبحث التعادل والتراجيح أن هذه الفكرة قد اكتسبوها من الإمام الباقر عليه السلام، وهذا هو الذي يعبر عنه في كتاب الكافي والمحاسن بباب الأخذ بشواهد الكتاب والسنة، فهذا مكتسب في حقيقته من الأئمة عليهم السلام، فكل رأي حق لا بد أن ينتهي في أصله إلى الأئمة عليهم السلام كما صرح بذلك في الروايات.

و علماؤنا لأجل مواجهة هاتين المدرستين خاضوا في المسائل الأصولية، فألفوا رسائل متعددة في علم الأصول مذكورة في كتب الرجال، ألّفها بعض بني نوبخت وغيرهم، في إبطال القياس، أو في عدم حجية الخبر الواحد أو في مسألة الحديثين المختلفين، فناقشوا و عارضوا في كتبهم هذه أصول هاتين المدرستين معارضة ثقافية.

■ **إلا أن هناك أسباب تؤدي إلى التشديد في المعارضة، منها:**
أن يتأثر الأصولي الشيعي بآراء الغير، كما نسب لابن الجنيد رحمه الله، وهو معاصر الصدوق رحمه الله، القول بحجية القياس، وهكذا غيره، ولذا نرى الشيخ المفيد رحمه الله وغيره قد كتبوا رسائل في إبطال القياس في مناقشة أمثال ابن الجنيد رحمه الله، وأنه متأثر بآراء أهل السنة، لذلك نرى الشيخ رحمه الله في الفهرست، والسيد المرتضى رحمه الله في الانتصار يتشدد في معارضته بأنّ كتب ابن الجنيد ملغاة لأجل ميله للقول بالرأي والقياس.

وهناك من الشيعة من تأثروا بمدرسة أهل الحديث عند أهل السنة، لذلك صدرت منهم بعض الأقوال المشابهة لأقوال الحشوية، ومن هنا رأينا أن الشيخ المفيد رحمه الله كتب في ردهم كتاب (مقابيس الأنوار في الرد على أهل الأخبار)، وغير الشيخ المفيد رحمه الله وفي موضوع حجية الخبر الواحد، كما كان هناك صراع خارجي مع غير الشيعة، كان هناك صراع و مناظرة داخلية مع بعض الشيعة المتأثرين بمدرسة أهل الحديث، وأصحابنا المعتدلون كالشيخ المفيد رحمه الله وغيره كما كانوا يتشدّدون، وتصدر منهم أقوال شديدة اللهجة بالنسبة للشيعة المتأثرين بأهل الرأي، كذلك مع المتأثرين بأهل الحديث، والقائلين بحجية الخبر الواحد مطلقا من الشيعة، وهم كثير آنذاك؛ إذ أن آراء الجهة المعارضة لو دخلت داخل نطاق المجتمع الشيعي فهذا يحفز على المعارضة والمناقشة بصورة أشد وأكثر.

إذن فالدور الأول دور المناظرة مع أهل السنة بكلا مدرستيه، وأولئك الشيعة المتأثرين بهم، ولأجل هذه المعارضة اكتسبت الأصول لوناً خاصاً، يعبر عن هذا اللون بالمعارضة، وهذه المعارضة أدت إلى تنامي الأصول وتكاملها، ويتمثل تكاملها في عدة الشيخ الطوسي رحمه الله، ونتيجة هذه المعارضات التي نشأت في عهد الديالمة وغيرهم، أن توسّع الفقه الخلافي، وكذلك علم الأصول، ولكن عند مجيء عهد السلاجقة تحول أهل السنة إلى مرحلة التقليد المحض، وأخذ الشيعة نتيجة للتضييق عليهم من التقليل من المعارضة، ولكن بعد غزو التتار وحدوث الحرية الفكرية نوعاً ما ظهر المحقق الحلي رحمه الله والعلامة الحلي رحمه الله ليواصلوا نفس ذلك الأسلوب الأصولي، وكتاب التذكرة والمعتبر يتعرض فيهما كثيراً الآراء العامة، وغيرها من المؤلفات في مجال الفقه المقارن، كما أن هناك بعض المؤلفات ألفت في مجال الفقه المذهبي، ولكن هذه المرحلة كانت قصيرة، ورغم قصرها نرى أن بعض أهل السنة قد تأثر بالفكر الشيعي، كابن تيمية، الذي يعتبر من المحاربين للشيعة، قد تأثر في آرائه الفقهية بالفقه الشيعي في جملة من المسائل، كبعض مسائل الطلاق، كما أشار لذلك أبو زهرة في كتابه ابن تيمية، وهو قد اشتغل في أواخر عمره بالفقه، واعتبر مجددا في الفقه لتلك المسائل التي اتّبع فيها الفقه الشيعي.

ولكن أهل السنة بعد انسداد باب الاجتهاد عندهم، وعدم الاهتمام بالشؤون الثقافية أصبح الشيعة فارغي البال من جهتهم، وهذا ما دعا إلى عدم اهتمام الشيعة بهذه المعارضة ، ليوجهوا اهتمامهم إلى أنفسهم، ولذلك نرى الشهيد الأول رحمه الله في كتبه الفقهية لم يتعرض لآراء العامة، وهكذا العلماء الذين جاءوا بعده، وهكذا في علم الأصول لم تذكر بعض البحوث التي تتحقق فيها هذه المعارضة، ولم يتعرض لتميّز الشيعة عن غيرهم، لذلك نرى الشهيد الثاني رحمه الله في كتاب القضاء يذكر أنه يكفي للطالب أن يقرأ مختصر ابن الحاجب لأجل المنطق والأصول، مع كونه من كتب أهل السنة، وهذا يدل على عدم اهتمام الشيعة بتميّزهم عن العامة، لأجل تخلّي العامة عن الميدان العلمي والثقافي، فهذا ما حفّز على عدم التفكير بامتيازاتهم الخاصة، وخصوصا في البحث الأصولي.

■ **الدور الثاني:**
وتبدأ هذه المرحلة برأينا من بداية القرن الحادي عشر، فبعد استقلال الشيعة واستقرارهم في عهد الصفوية في أوائل القرن العاشر، في هذا الظرف ولأجل عوامل خاصة نشأت المدرسة الأخبارية، وملا محمد أمين الاسترآبادي حيث قد عارض معارضة شديدة الفكر الأصولي الذي كان شائعة آنذاك، والذي كان خاضعا في بعض آرائه لعلم الكلام ، كما أشرنا لهذه الفكرة، وقد اتبع البعض آراءه، أو تأثروا بها، كالمجلسيين والفيض الكاشاني والحر العاملي والشيخ يوسف البحراني رحمه الله، ومعارضتهم فيها الصواب والخطأ.

ومن هنا نشأت معركة فكرية شديدة بين الأصوليين والأخباريين، وعارض الأخباريون الفكر الأصولي معارضة شديدة، وشأن كل معارضة أن تكون بدايتها شديدة، فعارضوا الأصوليين لأجل أن آراءهم تعتمد في الغالب ما يبتني على الآراء الفلسفية والكلامية، وسنتعرض لهذه المعارضة في مبحث القطع، حيث نتعرض الرأي الشيخ الأنصاري رحمه الله في مناقشته للاخباريين.

ولكن هذه المعارضة بين الأخباريين والأصوليين أدّت إلى ثراء الفكر الشيعي، واكتسب علم الأصول نتيجة لذلك لونا خاصّاً، وقد اغتنى الفكر الشيعي وأصبح أكثر تكاملا وتطوراً وعمقا على يد أمثال الوحيد البهبهاني رحمه الله وتلاميذه، أمثال المحقق القمي رحمه الله وغيره.

وتمثل الأصول بصورته الأكثر تطوراً وتكاملاً في كتاب الرسائل للشيخ الأنصاري رحمه الله، وقد استفدنا من هذه المرحلة كثيراً، وأغلب ما استفاد الفكر الأصولي في زماننا الراهن الحديث من الأفكار الأصولية للجهة المعارضة للأخباريين.

إذ أنّ المناقشات الداخلية، والمعارضات من أفراد الجهة الواحدة لا توجب تغييراً أساسياً وجذريّاً، على العكس فيما لو كانت المعارضة والمناقشة خارجية، مع جهة خارجة معارضة، حينئذ سوف تنمو القوى الثقافية والقدرات الفكرية ليتحقق التغيير الجذري الأساسي.

وقد انتهى الأخباريون فكريا وثقافياً، وإن بقيت آثارهم على شكل طوائف، يقلدون علماءهم السابقين دون أن تكون لهم جوامع فكرية ونشاط ثقافي، ونحن لا نريد البحث في هذا الميدان، وإنما بحثنا يتحدد في الميدان الثقافي فحسب .

فهذه المعارضة أثرت الفكر الأصولي، ويلاحظ هذا الثراء بالفرق الكبير بين كتاب الرسائل وبين كتب علمائنا السابقين في مجال علم الأصول.

■ **الدور الثالث:**
وهو الدور الذي نعيشه نحن في هذه الفترة الزمنية، وهو دور المواجهة بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية، حيث تتمثل بالمقارنة بين القوانين الغربية والقوانين الإسلامية، والمراد من الغرب أعم من الشرق والغرب، وقد أثرت هذه المواجهة الخارجية في الداخل أيضا، أي أنه وجد من تأثر بمثل هذه التيارات والأفكار والآراء الغربية في الداخل، وفي نفس الوقت قد وجدت مواجهة جديدة بيننا وبين فقه أهل السنة و أصولهم؛ إذ أن أهل السنة يبحثون الآن حول المقارنة بين المذاهب الإسلامية، فأنشئت دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، وأُلفت موسوعة الفقه الإسلامي، وأُلّفت في الإمام الصادق كتب عديدة من قبل أهل السنة، كما كتبوا عن أصول الفقه الشيعي بحسب فهمهم، كما ناقشوا الفكر الشيعي أيضا في مؤلفاتهم.

إذن فنحن نعاني دورا آخر غير الأدوار الأخرى، ومهمة الأصولي في هذه المرحلة مهمة خاصة وصعبة.

فالملاحظ أن بعض آراء الفكر الأصولي تعتمد على أفكار وأسس وقواعد فلسفية وكلامية، ولكن مثل هذه القواعد والأسس الفلسفية والكلامية تعرضت للمناقشة والمعارضة حتى في التكوينيات، وكذلك كنا نبحث في علم الأصول عن بعض المسائل الأصولية المرتبطة باللغة والتي تبتني على بعض آراء النحاة والأدباء السابقين، ولكن ظهرت في هذا الميدان آراء جديدة في مجال فلسفة اللغة وغيرها من المجالات الأدبية؛ إذن فهناك فرق كبير بين الاعتقاد في هذه المسائل على آراء السابقين أو علمائنا فحسب، وبين أن نلاحظ في نفس الوقت الآراء الجديدة التي ظهرت في هذه المجالات.

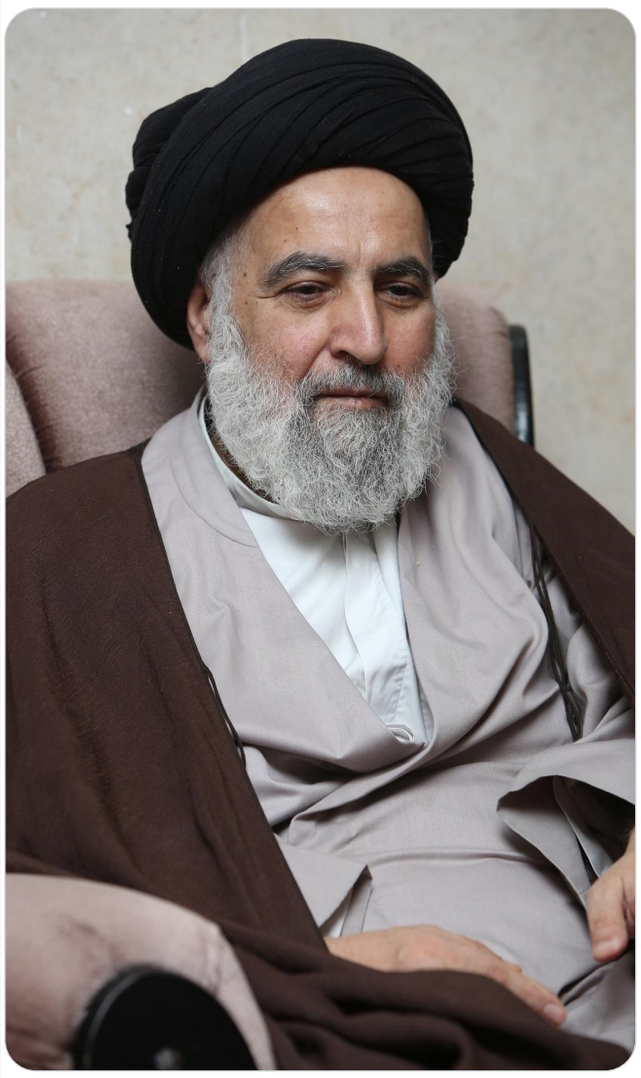

■ **وكذلك في مختلف أنواع العلوم العقلية، قد ظهرت آراء جديدة، منها:**
بحوث حساب الاحتمالات التي انتشرت بالغرب انتشارا واسعاً، وقد كتبت حولها كتب باللغتين الفارسية والعربية، مترجمة أو غير مترجمة، وهذه النظرية لها تأثير كبير في الفكر الأصولي، فالشبهة الغير المحصورة التي كان يعتقد السابقون من علمائنا بأنها تفترق عن الشبهة المحصورة في تنجيز العلم الإجمالي لم يجد المتأخرون طريقاً صحيحاً لذلك، ولكن طريقها الصحيح يتحقق على ضوء حساب الاحتمالات، أي أن المعلوم بالإجمال لو كان احتمال انطباقه على كل فرد ضعيفاً جداً بحيث يكون احتمالاً موهوماً، فتكون الشبهة غير محصورة، كما لو كان إناء واحد نجس في ضمن مليون إناء، فاحتمال كون هذا الإناء هو الإناء النجس هو نسبة الواحد للمليون، وهكذا حقيقة التواتر المعنوي واللفظي، وتجمع الاحتمالات في المحور الواحد، ومباحث دليل الانسداد، وغيرها من المباحث التي يمكن معالجتها على ضوء النظريات العقلية الجديدة.

ولا بد من التعاون بين الأصول وبين النظريات والآراء الصحيحة، فنحن نتبع مضمون هذه الآية الشريفة: «فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ».

وفي نفس الوقت نرى أن فقهنا يتعرض للمقارنة بينه وبين الفقه العامي، ولعل بعض الأفراد قد تأثروا بالفقه العامّي دون أن يعلموا بنقاط ضعف الفقه السنّي، مثلاً : أنكر البعض منا خمس أرباح المكاسب تاريخياً، فلا بدّ أن تكون أصولنا وفقهنا بنوع يمكن أن يجيب على مثل هذه التساؤلات والشبهات.

فليس علم الأصول الحديث كعلم الأصول عند السابقين، بحيث نكرر فيه تلك الآراء ونعرضها، بل مهمتنا تجديد النظر في الأصول على ضوء أساليب وميادين المعارضة التي نعيشها، ويلزم أن تكون أصولنا وافية برفع احتياجاتنا الراهنة، ففي مبحث حجية الخبر الواحد تعرضنا لبحث موسع حول تاريخ تدوين الحديث، وأنه كيف لا يمكن لنا الوثوق بأحاديث أهل السنة مع أنه يلاحظ أن بعض كتبنا الحديثة قد ذكر مؤلفها بأن كتب الحديث العام أكثر وثوقاً من كتبنا؛ لأنهم أقرب لعصر الرسالة من الشيعة، وحدوث التغيير في كتب الشيعة أكثر، وقد تعرّضنا في هذا الموضوع إلى التغييرات التي حدثت في كتب أهل السنة، كما أشار لذلك بعض كتاب أهل السنة المعاصرين، ككتاب أضواء على السنة المحمدية، كما تعرضنا لبحث القياس في مبحث الظنون، وذكرنا عدم حجيته لاحتياجنا اليوم لذلك، وكذلك تعرضنا لمبحث حجية اللغوي، ولكن عرضناه بصورة أخرى وليست بالصورة المعتمدة على فكرة حجية أهل الخبرة أو بدليل الانسداد الصغير، وكذلك بحثنا عن تاريخ تدوين اللغة وتأثر اللغويين بمذاهب العامة في المسائل الفقهية المتنازع فيها، وأن مدرسة النحويين متأثرة بمذهب غير المذهب الذي تأثرت به مدرسة البصريين، ومجرد ذكر اللفظ في كتاب لغوي لا يدل على اعتباره.

إذن فنحن في وضع خاص، ويجب أن تكون أصولنا على ضوء الموازين التي يقتضيها هذا الوضع الخاص. فنحن نعيش ظروف معينة، ويلزم أن تتعامل أصولنا وفقا للموازين التي تفرضها هذه الظروف.

إذن يلزم على علم الأصول أن يعالج التساؤلات والاحتياجات الفقهية الحديثة.

فلا بد من البحث حول الفقه المقارن، حيث إن فقه أهل السنة قد أخذ يؤثر تأثيراً غريباً في البعض، وكذلك لا بد من البحث حول مجال المقارنة بين التشريع الإسلامي والقوانين الغربية، وكذلك في المسائل اللغوية وغيرها، التي ذكرت فيها آراء ونظريات لا بد أن نفحص حول الرأي الأحسن والأكمل لنستفيد منه في بحوثنا الأصولية.

المصدر: تقريرات في علم الأصول (ج ٣) تقريراً لأبحاث السيد علي الحسيني السيستاني، بقلم السيد هاشم الهاشمي

■مقاله/ الجزء الأول

الأسس والمصادر الاجتهادية المشتركة

■وهبة الزحيلي

⚠ الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

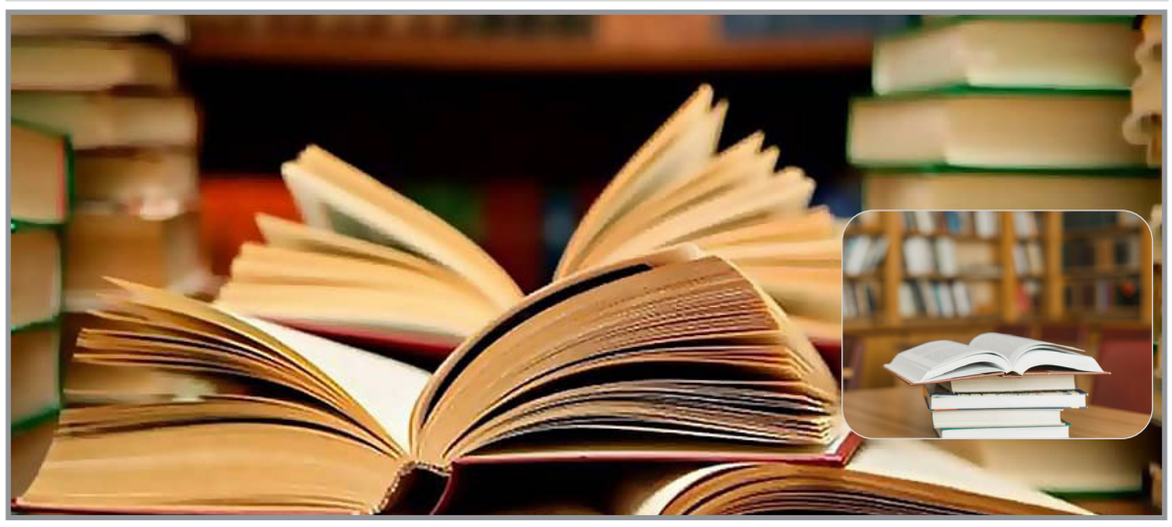

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على محمّد نبي الرحمة الذي لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه المهديين الّذين آمنوا به وآزروه ونصروه والتزموا منهجه ودعوته، وبعد:

نحن (المسلمين) اليوم في عصر المواجهة الحضارية والثقافية والسياسية مع الغرب والصهيونية العالمية بأشد الحاجة إلى وحدة الفكر والبناء، والعمل المشترك، من أجل قوة الأمة الإسلاميّة، والحفاظ على وجودها وعزتها من أي وقت مضى فكان لزاماً مؤكداً ضرورة تسوية الخلافات التاريخية والمشكلات المعاصرة، والتعريف بالجسور المتينة التي تقوم عليها وحدة الأمة، وبخاصة في المجالات الفقهية والأصولية، ولعلها أيسر الطرق لتوحيد طاقات المسلمين، لأن الخلاف بين المذاهب السنية والشيعية سهل يسير، ونقاطه قليلة محصورة، بسبب وحدة المصادر الاستنباطية، والاعتماد أصالة على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ووجوب رد كلّ نزاع أو خلاف إليهما، كما في قول الله تعالى. فإن تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى الله والرسول إنّ كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلاً.

وغني عن البيان أن مبدأ الوحدة الإسلاميّة مقرر مفروض على امتنا في دستورهم المجيد، في مثل الآيتين الكريمتين، الأولى وهي قوله سبحانه: وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأتقون.

وأول من يخاطب بضرورة العمل على توحيد أفكار الأمة المسلمة وطرح كلّ العراقيل والمعوقات أمامها هم العلماء الإثبات الّذين نضجت أفكارهم واختمرت معارفهم وعلومهم وترفعوا عن رعشات التعصب المذهبي، وأدركوا خطر الاستعمار الحريص على تجسيد التفرقة بين السنة والشيعة. وليس المقصود من الوحدة الإسلاميّة بداهة أن يتحول السني إلى شيعي أو بالعكس، لأن نقض الموروث ليس بالأمر الهين، بل لا جدوى من محاولات التغيير.

لذا بادرت إلى بحث موضوع «الأسس والمصادر الاجتهادية المشتركة» لا سهم بواجبي في هذا السبيل العلمي الخصب، لأن جميع المذاهب السنية والشيعية متفقة على ضرورة الاجتهاد وفرضيته في كلّ عصر، عملاً بأصول الأدلة الشرعية، وبعداً عما سمي بإغلاق باب الاجتهاد عند أكثر المتأخرين من علماء السنة بعد نهاية القرن الرابع الهجري تأثراً بظروف سياسية مؤقتة، وتعرضها لتيارات فكرية هدامة، ومحاولة إضعافها من زاوية الاجتهاد، علماء بأن من وراء تلك التيارات لم يكونوا مؤهلين للاجتهاد، وكان لهم غايات خبيثة ومحاولات مسمومة مشبوهة ويتميز الشيعة بأنهم لا يجيزون تقليد المجتهد الميت، بل لابد من كونه حياً حتّى يصح تقليده أو بأذن بتقليد حكم معين.

ومنهجي في البحث: هو إيراد مختلف المصادر الاجتهادية، وكان لهم غايات خبيثة ومحاولات مسمومة مشبوهة. ويتميز الشيعة بأنهم لا يجيزون تقليد المجتهد الميت، بل لابد من كونه حياً حتّى يصح تقليده أو يأذن بتقليد حكم معين.

ومنهجي في البحث: هو إيراد مختلف المصادر الاجتهادية، وتحديد أسسها، وتعريفها، وإيراد أهم دليل لأصحابها إثباتاً أو نفياً، ثم التقريب بين العلماء ببيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين المذاهب في كلّ واحد منها.

ولابد أولا أن احدد مصدر التشريع الأصلي المتفق عليه، ثم تبيان المصادر المعتبرة في الاستنباط في ساحة المذاهب الإسلاميّة.

■ **وحدة المصدر التشريعي:**

اتفق المسلمون في بحث الحاكم على أن مصدر جميع الأحكام الشرعية التكليفية والوضعية هو الله سبحانه وتعالى بعد البعثة النبوية وبلوغ الدعوة الإسلاميّة للناس، سواء أكان ذلك بطريق النص من قرآن أو سنة بواسطة الفقهاء والمجتهدين؛ لأن المجتهد مظهر للحكم، وكاشف له، ومبين مراد الله بإصدار الحكم في غالب الظن، أم قطعا ويقينا، وليس المجتهد منشئاً أو واضعاً للحكم من عند نفسه، وبمحض عقله وفكره، لهذا قالوا: الحكم الشرعي: هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع والاقتضاء معناه الطلب، ويشمل طلب الفعل بالإيجاب أو الندب، وطلب الترك بالتحريم أو الكراهة. والتخيير الإباحة وهو استواء الفعل والترك والوضع: خطاب الله تعالى المتعلق بجعل الشيء سبباً أو مانعاً أو صحيحاً أو فاسداً أو عزيمة أو رخصة.

وقال الأصوليون والفقهاء أيضاً: لا حكم إلاّ لله أخذاً من قوله تعالى: (إنّ الحكم إلاّ لله...)

وأنكر الأستاذ محمّد تقي الحكيم التعريف ـ الذي جاء في القوانين المحكمة ـ للعقل كأحد المصادر بأنه «حكم عقلي يوصل به إلى الحكم الشرعي، وينتقل من العلم بالحكم العقلي إلى العلم بالحكم الشرعي» قائلاً: والذي يؤخذ على هذا التعريف من وجهة شكلية تعبيره بالحكم العقلي، مع أنّه ليس للعقل أكثر من وظيفة الإدراك، وهو مقصود حتماً، وأظن أن التعبير بالحكم وانتشاره هو الذي أوجب أن يلتبس على بعض الباحثين في أن القائلين باعتبار العقل من الأصول يرونه هو الحاكم في مقابل الله عزّوجل. وقرر بصراحة أن العقل مدرك وليس بحاكم.

■ **مصادر الاستنباط في المذاهب الفقهية:**

مصادر الأحكام الشرعية: هي الأدلة الشرعية التي يستنبط منها الأحكام الشرعية.

ومصادر الاستنباط عند أهل السنة قسمان: مصادر أساسية مستقلة ومصادر فرعية اجتهادية غير مستقلة. أما المصادر الأساسية المستقلة: فهي القرآن الكريم والسنة النبوية للأوامر الإلهية الآمرة بإطاعة الله والرسول، مثل قوله تعالى: يا أيها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وقوله؟ص؟ في حجة الوداع: «تركت فيكم أمرين ما إنّ اعتصمتم بهما، فلن تضلوا أبداً: كتاب الله وسنة نبيه». وفي رواية صحيحة أخرى: «كتاب الله وعترتي».

والمصادر الفرعية: هي الإجماع والقياس والاستحسان والاستصلاح (أو المصالح المرسلة) والعرف وشرع من قبلنا ومذهب الصحابي والذرائع والاستصحاب.

ومصادر التشريع عند الزيدية: هي قضايا العقل المبتوتة، والإجماع الثابت بيقين، ونصوص الكتاب والسنة المعلومة، ومفهومات الكتاب والسنة المعلومة، ومفهومات أخبار الآحاد، وأفعال النبي وتقريراته، والقياس والاجتهاد (ومنه الاستحسان وسد الذريعة والمصالح المرسلة) والاستصحاب وهو ما يعرف بالبراءة الأصلية.

ومصادر الاستنباط عند الإمامية أو الجعفرية أربعة: وهي الكتاب العزيز، والسنة، والعقل والإجماع وما عداها فهو راجع إليها في أغلبية صوره.

وبما أن موضوع البحث مقصور على المصادر الاجتهادية المشتركة، فإني أخص بحثي بغير الكتاب والسنة المتفق على كونهما مصدري التشريع الأصليين، ومن العجب وجود الشبه الواضح في ميدان الفقه التفريعي بين الفقه السني والفقه الجعفري والزيدي في كثير من المسائل كما أن مصدر «العقل» عند الشيعة الإمامية وهو التفكر في المصدرين الأصليين المتفق عليهما يمكن أن يدخل تحته كثير من أنواع المصادر الاجتهادية عند أهل السنة، وهذان دليلان واضحان على أنّه في مجال التطبيق والاستنباط يكاد ألا يكون هناك خلاف جوهري في المصادر، وإنّما الخلاف في التسمية والاصطلاح، أو في الكثرة والقلة، أو في الشهرة في استعمال مصدر لدى أئمة مذهب، وانعدام تلك الشهرة في اتجاه إمام آخر، أو أن محل الخلاف أو النزاع غير متفق عليه، كما هو الشأن في الاستحسان على الاستحسان بالهوى والشهوة و محض الرأي من غير دليل شرعي، وهذا ما لا يقول به قطعاً كلا الإماميين: أبي حنيفة ومالك، كما سيأتي بيانه.

ولقد أصاب الشيخ محمّد تقي الحكيم حينما قسم الاجتهاد إلى قسمين: الاجتهاد العقلي، والاجتهاد الشرعي. وهذه القسمة واضحة بالإشارة إلى أن مختلف أئمة الاجتهاد بالرأي المتفق مع مقاصد الشريعة يعتمدون في الاستنباط على كلا القسمين على حد سواء.

أما الاجتهاد العقلي: فهو ما كانت الحجية الثابتة لمصادره عقلية محضة غير قابلة للجعل الشرعي، وينتظم في هذا القسم كلّ ما أفاد العلم الوجداني بمدلوله، كالمستقلات العقلية وقواعد لزوم دفع الضرر المحتمل، وشغل الذمة اليقيني يستدعي فراغاً يقينياً، وقبح العقاب بلا بيان وغيرها.

وأما الاجتهاد الشرعي: فهو كلّ ما احتاج لدليل شرعي إلى جعل حجيته من الحجج الشرعية، ويدخل ضمن هذا القسم: الإجماع والقياس والاستصلاح والاستحسان والعرف والاستصحاب وغيرها من مباحث الحجج والأصول العملية التي تكشف عن الحكم الشرعي.

■ **وهذه آراء العلماء في مصادر التشريع الاجتهادية:**

١ ـ الإجماع:

الإجماع مصدر من مصادر التشريع، اتفقت المذاهب الإسلاميّة الستة من السنة والشيعة على حجيته، وتعريفه بتعاريف متقاربة. فتعريفه المعتمد عند جمهور أهل السنة هو: «اتفاق المجتهدين من أمة محمّد؟ص؟ بعدوفاته، في عصر من العصور، على حكم شرعي» وهذا التعريف يتطلب اتفاق جميع مجتهدي الأمة من سنة وشيعة في عصر من العصور على حكم شرعي. واستدلوا على حجيته بأدلة من القرآن والسنة، وأقوى الأدلة: ما ثبت في السنة المتواترة تواتراً معنوياً وهو ورود أحاديث ثابتة بألفاظ مختلفة تثبت عصمة الأمة من الخطأ، منها: « لا تجتمع أمتي على الخطأ» ومنها: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» ولابد للإجماع من مستند عند الجمهور، والمستند: هو الدليل الذي يعتمد عليه المجتهدون فيما أجمعوا عليه. ويصلح المستند أن يكون نصاً أو قياساً؛ لأن الإفتاء بدون مستند خطأ، لأنه يعتبر قولاً في الدين بغير علم، وهو منهي عنه بقوله تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم...).

وفائدة الإجماع مع وجود المستند: إنّ كان المستند قطعياً فهو التأكيد، وإن كان ظنياً فهو رفع مرتبة الحكم من الظن إلى القطع واليقين.

وقد وقعت إجماعات كثيرة من الصحابة وغيرهم إذا كان المستند نصاً شرعياً، مثل الإجماع على إعطاء الجدة السدس في الميراث، وعلى منع بيع الطعام قبل قبضه، وعلى بطلان زواج المسلمة بالكافر، وعلى حرمة الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في الزواج، وعلى وجوب العدة بموت الزوج ونحو ذلك، وكذلك إذا كان المستند قياساً مثل تحريم شحم الخنزير قياساً على لحمه.

أما الإجماع الاجتهادي المحض: فلا نكاد نجد له مثالاً سوى شركة المضاربة، فقد أجمع العلماء على جوازها، وليس هناك نص صريح عليها، كلّ ما في الأمر أن الناس تعاملوا بها في عهد النبيﷺ، فأقرهم عليها، ولم ينكرها عليهم، وربما كان هذا سنة تقريرية عند المتمسكين بالنص. وهي مشروعة عند الإمامية بنص من الإمام الصادقؑ.

وعرف الشيعة الإمامية الإجماع بأنه: «اتفاق جماعة يكون لاتفاقهم شأن في إثبات الحكم الشرعي» أي فلا يشترط اتفاق جميع العلماء، وهم يقولون: إنّ الإجماع حجة، لا لكونه إجماعاً، بل لاشتماله على قول الإمام المعصوم، وقوله بانفراده عندهم حجة، لأنه رأس الأمة ورئيسها، لا لكونه إجماعاً، وغير المعصومين لا يخالفونه عادة أو لا يقرهم على المخالفة، فالحجية عندهم منوطة بإجماع الأمة. وإذا كانوا يرون أن الإمام المعصوم غير موجود الآن، فلا يحدث إجماع أصلا بدونه. والأئمة المعصومونؑ أثنا عشر إماماً، وأنهم لا يخطئون في اجتهادهم. ولا يصلح القياس عندهم مستندا للإجماع.

ويرى الشيعة الإمامية والزيدية: أن إجماع العترة حجة، وأرادوا بالعترة أصحاب الكساء وهم السادة علي وزوجه فاطمة، وابناهما الحسن والحسينؑ، وهم معصومون منزهون عن الخطأ في الاجتهاد، ولا تعترف الزيدية بالعصمة لغير هؤلاء من أئمة آل بيت رسول اللهﷺ؟، خلافاً للشيعة الإمامية الّذين يقولون ـ كما تقدم ـ بعصمة الأئمة الأثني عشر جميعهم.

ويلاحظ أن أهل السنة: يعتبرون الإجماع حجة قائمة بذاتها، ويأتي في المرتبة الثالثة بعد الكتاب والسنة مباشرة في ترتيب الأدلة الشرعية.

ويرى الشيعة الإمامية أن حجية الإجماع بسبب حكايته عن الكتاب والسنة، بحيث يكشف عنهما أو عن أحدهما، وإلا فلا حجة له.

أما الزيدية: فيرون أن الإجماع المتواتر له قوة الأحاديث المتواترة، وهو الإجماع الثابت بيقين، ومقدم على نصوص الكتاب والسنة وظواهرها ومفهوماتها المعلومة.

ويقول الشيعة الإمامية: إنّ الإجماع لم يقع، وهو غير ممكن، والمراد بحديث «لا تجتمع أمتي على الخطأ أو على الضلالة» نفي الخطأ والضلال عن الأمر تقرره الأمة باتفاقها واجتماع آرائها في أمر دنيوي وغيره، فضلاً عن أنّه ليس بمتواتر تواتراً معنويا، ولا تقصر الأمة على المجتهدين وأهل الحل والعقد فيها، وإنّما تشمل جميع الأفراد.

وبه يتبين أن جميع المذاهب الستة متفقة على اعتبار الإجماع حجة، ولكن حجيته تتفاوت قوة وضعفا لدى هذه المذاهب نتيجة اجتهادهم في الفهم والاستنباط.

٢ ـ العقل:

العقل المحض لا يعتبر مصدراً من مصادر التشريع أو الاستنباط عند فقهاء الشريعة الإسلاميّة بالاتفاق؛ لأنه لا يحقق العدالة المجردة، ولا المصلحة العامة الثابتة، ولا الاستقرار المنشود، بسب تفاوت العقول البشرية في إدراك الأمور، واختلافها في مقاييس الخير والشر، وقصور إدراكها لحقائق الأشياء، واكتشاف آفاق المستقبل، وتأثرها بالمصالح الذاتية واندفاعها وراء الأهواء والشهوات، وحماية الثروات الخاصة والفئات المعينة.

حتّى إنّ المعتزلة الّذين يقولون: يصلح العقل لإدراك حسن الأشياء كالصدق والمروءة فتكون مأموراً بها، وادراك قبحها كالكذب والقتل، فتكون منهيا عنها، يقولون: إنّ هذا قبل البعثة النبوية، وإن العقل لا ينشئ هذه الأحكام ولا يضعها، وإنّما المنشئ لها هو الله رب العالمين، وحكم العقل مقصور على معرفة حكم الله تعالى في هذه الأشياء بواسطة إدراك صفات الحسن والقبح الذاتية فإذا أدرك ما فيها من حسن، أدرك حكم الله فيها، فيتعين عليه تركها ولا يتعدى عمل العقل معرفة الحكم وإدراكه، أما واضع الحكم ذاته ومشئه فهو الله رب العالمين.

ويقتصر دور المجتهدين باتفاق المذاهب الإسلاميّة على مجرد كشف الأحكام وإظهارها، بتفهم النصوص وتطبيقها والقياس عليها عند القائلين به، والاجتهاد في استخراج الأحكام منها، وليس فيه وضع للأحكام من عند أنفسهم، أو إنشاء لها بواسطة عقولهم وأفكارهم؛ لأنهم يستندون إلى الكتاب والسنة في كشف هذه الأحكام وبيانها، ولا يعتمدون على غيرها بتاتاً، سواء أكان الاجتهاد جماعياً أم فردياً.

فسلطة التشريع في الإسلام هي لله رب العالمين، وللرسولﷺ، باعتبار أنّه رسول ومبلغ وحي الله إلى سائر الناس.

والغزالي في مبحث دليل العقل والاستصحاب وهو الأصل الرابع لديه يعتبره دليلا على إدراك بعض الأحكام قبل البعثة، لا دليلاً على الحكم الشرعي ذاته، فيقول:

«دل العقل على براءة الذمة عن الواجبات وسقوط الحرج عن الخلق في الحركات والسكنات قبل بعثة الرسلؑ، وتأييدهم بالمعجزات، وانتفاء الأحكام معلوم بدليل العقل قبل ورود السمع، ونحن على استصحاب ذلك إلى أن يرد السمع». أي أن العقل يرشد إلى البراءة ويدل عليها، لا أنّه يقررها ويحكم بها.

والشيعة الإمامية والمعتزلة كالغزالي يعتبرون العقل مدركا وليس بحاكم، فهم كغيرهم من المسلمين ـ كما تقدم ـ يرون أن لا حكم إلاّ من الله تعالى، وهذا مقرر بإجماع الأمة، إلاّ أنهم يذكرون أن العقل إذا أدرك قبل البعثة حسن شيء أو قبحه، فينبغي على المرء أن يفعل الحسن ويترك القبيح، كوجوب قضاء الدين ورد الوديعة، والعدل والإنصاف، وحسن الدق النافع، وقبح الظلم وحرمته، وقبح الكذب مع عدم الضرورة، وحسن الإحسان واستحبابه، فالعقل ليستقل بإدراك الحسن والقبح. والمراد بالحسن هنا: هو ما يترتب على فعله المدح في الدنيا، والثواب في الآخرة، والمراد بالقبيح: ما يترتب على فعله الذم في الدنيا والعقاب في الآخرة. ولا يتوقف إدراك ذلك على الشرع، والشرع فقط مؤكد لحكم العقل فيما يعلمه من حكم الله تعالى وإذا أدرك الإنسان الحسن والقبح بهذا المعنى فيكلف به فعلاً أو تركا، ويترتب على ذلك الثواب أو العقاب في مخالفة ما أدركه العقل. فالحاكم حقيقة هو الشرع إجمالا، ولكن العقل في رأيهم كاف في معرفة حكم الشرع.

والأشاعرة يخالفونهم في هذا الكلام بشقيه ك الإدراك والتكليف، لاه لو لم يكن الحسن والقبح في الأفعال بحكم الشارع نفسه، وكان بحكم العقل، لا ستحق تارك الحسن وفاعل القبح قبل بعثة الرسل العقاب، وهذا مخالف لصريح الكتاب في قوله تعالى: (وما كنا معذبين حتّى نبعث رسولا) وقوله سبحانه: (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى.

وأجاب الشيعة عن هذا الدليل بأن العقل (وأن كانت له وظيفة الإدراك) إلاّ أن إدراكه محدد بحدود خاصة لا تتجاوز الكليات، فالإدراك منحصر في الكليات ولا يتناول الأمور الجزئية، كما لا يتناول مجالات التطبيق إلاّ نادراً، والكليات لا تستوعب شريعة ولا تفي بحاجات البشر. بل إنّ ثبوت الشرائع من أصلها يتوقف على التحسين والتقبيح العقليين، ولو كان ثبوتها من طريق شعري لا ستحال ثبوتها. وقال الشوكاني: «وبالجملة، فالكلام في هذا البحث طويل، وإنكار مجرد إدراك العقل لكون الفعل حسناً أو قبيحاً مكابرة ومباهتة. وأما إدراكه لكون ذلك الفعل متعلقا للعقاب فغير مسلم، وغاية ما تدركه العقل: أن هذا الفعل الحسن يمدح فاعله، وهذا الفعل القبيح يذم فاعله، ولا تلازم بين هذا وبين كونه متعلقا للثواب والعقاب».

والخلاصة: يرى الشيعة ـ كما قرر الشيخ محمّد تقي الحكيم وغيره ممن سبقه كالشيخ المظفر في أصول الفقه ـ أن العقل مصدر الحجج واليه تنتهي، فهو المرجع الوحيد في أصول الدين وفي بعض الفروع التي لا يمكن للشارع المقدس إلاّ أن يصدر حكمه فيها كأوامر الطاعة... وما ورد من الأوامر الشرعية بالإطاعة فإنما هو إرشاد وتأكيد لحكم العقل لا أنها أوامر تأسيسية. والإدراك العقلي لا يؤدي إلى إنكار الشرائع، بل الاحتياج قائم على أتم صوره، لتدارك ما يعجز العل عن الولوج إليه، وهو أكثر الأحكام، بل كلها مع استثناء القليل.

وفي تقديري أن الاعتماد على العقل ضروري في فهم أحكام التشريع، ولولا الإدراك العقلي لما امكن الاستنباط، والخلاف بين السنة والشيعة محصور في فترة ما قبل البعثة، وأما بعدها فهم متفقون مع غيرهم على أن مصدر جميع التكاليف الشرعية إنّما هو الشرع، وما لم ينص عليه الشرع فهو على الإباحة في رأي الشيعة وغيرهم، ولا تلازم بين الإدراك العقلي وبين الثواب والعقاب، فهذان يحتاجان إلى تكليف من الشارع، ليتحقق في الفعل أو الترك معنى الطاعة أو العصيان.

المصدر: الموقع الإلكتروني لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية

■ حوار / الجزء الثالث

حوارٌ مع العلّامة السيّد منير الخبّاز

■ حول اثبات وجود الإله ومسألة الإلحاد وأسبابها وطرق معالجتها

■ ٦: ماذا تمثّل عقيدة إثبات وجود الله في الرؤية الكونيّة؟ وماذا يترتّب على معرفتها من الآثار على المستوى الأيديولوجيّ والسلوك الإنسانيّ؟

تأثير العقيدة بوجود الخالق لها تأثيرٌ على ثلاثة مستوياتٍ، على المستوى المعرفيّ والرؤية الكونيّة، وعلى المستوى الأيديولوجيّ في مجال إقامة الحضارة، وعلى مستوى السلوك الإنسانيّ والقيم البشريّة.

■ أمّا على المستوى الأوّل، فإنّ هذا يتجلّى لنا في أمرين:

الأمر الأوّل: من القواعد العقليّة الواضحة أنّ لكلّ وجودٍ ماديٍّ علّا أربعًا، فاعليّةً وماديّةً وصوريّةً وغائيّةً. وحيث إنّ الكون الّذي نعيش فيه وجودٌ ماديٌّ فمن الطبيعيّ أن يتّجه العقل إلى معرفة العلل الأربع لهذا الكون، ولا تعدّ رؤية الكون رؤيةً متكاملةً ما لم تكن محيطةً بالعلل الأربع، ما منه الوجود وما به الوجود وما به فعليّة الوجود، وما هو غاية الوجود ومنتهى الوجود. فلأجل ذلك كانت المعرفة الإلهيّة للكون والرؤية الفلسفيّة للوجود معرفةً متكاملةً، بينما ما يصرّ عليه بعض علماء الفيزياء من أنّ العلم هو معرفة نظم الكون وأسراره الطبيعيّة وعلاقاته وقوانينه النافذة الحاكمة فيه، فإنّ هذا تقوقعٌ في حقلٍ معيّنٍ من المعرفة، وحصرٌ للمعرفة في النطاق الماديّ لعلاقات الكون، لكنّها ليست معرفةً متكاملةً ما لم تكن محيطةً بالعلل الأربع؛ ولذلك فإنّ هناك فرقًا بين النظرة الموضوعيّة للكون والنظرة الآيويّة للكون، فمن يقرأ الكون لذاته على أساس أنّه وجودٌ ماديٌّ بحتٌ، فهذه نظرةٌ موضوعيّةٌ لن يتجاوز بها حدود المادّة، ولن تكون معرفته بالكون معرفةً متكاملةً، وأمّا من قرأ الكون بما هو دليلٌ على علله الأربع، وأهمّها علّته الفاعليّة الّتي منها وجوده، وعلّته الغائيّة الّتي هي خاتمته ومنتهاه، فقد سبر الكون بما هو آيةٌ من آيات القدرة والعلم والحكمة، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في حديثه عن النبيّ إبراهيم الخليل عليه السلام: (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ - فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ - فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ - إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ). وقال تبارك وتعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ).

فالمعرفة الإلهيّة تجيب عن أسئلةٍ فطريّةٍ يلتفت إليها الذهن البشريّ، وهذه الأسئلة الّتي أشار إليها المعصوم عليه السلام في ما ورد عنه: «رحم الله أمرءاً عرف من أين وفي أين وإلى أين» فالعلم الّذي لا يجيب عن هذه الأسئلة الفطريّة الملحّة يعدّ علمًا ناقصًا ومعرفةً مبتورةً، وأمّا المعرفة الّتي تجيب عن هذه الأسئلة الضروريّة فهي المعرفة المتكاملة، وهذا ما يعني تأثير العقيدة الإلهيّة على مستوى الرؤية الكونيّة.

الأمر الثاني: توأميّة العلم والعقيدة: لا نقول إنّ العلم لا يستطيع أن يصل إلى تحديد السبب الأوّل والعلّة الأولى نفيًا أو إثباتًا فقط، بل نقول هناك توأميّةٌ بين العلم وبين الإيمان، فلولا الإيمان لما استطاع العلم أن يخطو خطواته نحو البحث والمعرفة.

قال أينشتاين: إنّ أعظم الأشياء استعصاءً على الفهم في الكون أنّه مفهومٌ، وقال سونبرن أستاذ الفلسفة المناهض للإلحاد في أكسفورد: عندما أتحدث عن الإله فإنّني لا أطرح إلهًا لسدّ الثغرات الّتي لم يجب عنها العلم حتّى الآن، فأنا لا أنكر قدرة العلم على استكمال التفسير، لكنّني أطرح الوجود الإلهيّ لأفسّر لماذا صار العلم قادرًا على التفسير، وهذه المقالات تعني أنّ الإيمان يقف عونًا للعلم في اكتشاف الحقائق، وأنّه لولا الإيمان لم يتمكّن العلم من الوصول إلى تفسير الحقائق تفسيرًا متكاملًا. ومن أجل بيان هذه النقطة نذكر أنّ أيّ مسيرةٍ علميّةٍ اختراعيّةٍ تقوم على أربعة عناصر،

العنصر الأوّل: الانتظام، ما لم يؤمن الإنسان بأنّ الأمور منتظمةٌ فإنّه لا يمكن أن يستمرّ أو أن يشرع في أيّ حقلٍ علميٍّ، فمثلًا ما لم يؤمن الإنسان أنّ مكان عمله ما زال باقيًا وأنّ الطريق إليه ما زال سالكًا، وأنّ سيّارته ما زالت تحمل الوقود الّذي يمكنه من الوصول إلى مقصده، فإنّه لن يتحرّك ما لم يؤمن بانتظام الأمور كما كانت؛ ولذلك يقول ديوز: إذا كانت الشمس تظهر من الشرق منذ أن وعينا، فليس لدينا دليلٌ جازمٌ على أنّها ستفعل ذلك غدًا، وهذا يعني أنّه ما لم يكن إيمانٌ بانتظام الطبيعة، فإنّه لا دافع ولا محرّك نحو المسيرة العلميّة.

العنصر الثاني: الثبات، يقول استيفن هوكنغ: كلّما ازدادت معرفتنا بالكون تأكّد يقيننا بأنّه محكومٌ بالقوانين. ويقول فيلمان عالم الفيزياء المشهور: إنّ وجود قوانين منضبطةٍ أمرٌ معجزٌ، إنّ هذا الانضباط لا تفسير له، لكنّه يمكّننا من التنبّؤ، فهو يخبرك بما تتوقّع حدوثه في التجربة قبل أن تجربها، وكذلك ذكر أينشتاين أنّ كلّ إنسانٍ يهتمّ بالعلم بصورةٍ جادّةٍ يدرك أنّ قوانين الطبيعة تعكس روح كلّيٍّ أسمى من الإنسان كثيرًا، ولو لم يؤمن العالم أو المكتشف أو المخترع أو الباحث أنّ هناك ثباتًا للقوانين، أي أنّ هناك قوّةً تحكم هذه القوانين وتضفي عليها الثبات، لما سار في أيّ مسيرةٍ علميّةٍ يعتمد الاكتشاف بها على قوانين ثابتةٍ.

العنصر الثالث: فاعليّة الرياضيّات. توصّل العلم الحديث إلى أنّ كيان العالم وبنية الكون قائمٌ على التحديد عبر المعادلات الرياضيّة؛ ولذلك يقول ديراك عالم الفيزياء البريطانيّ: إنّ الإله خالقٌ حسيبٌ، أي أنّه دقيقٌ في وضع القوانين والأنظمة على ضوء المعادلات الرياضيّة الدقيقة. وهذا يقود إلى أنّ قوانين الطبيعة جعل لها خالقها تفسيرًا وتحديدًا عبر ما يتوصّل إليه العقل البشريّ من الحدود والمعادلات الرياضيّة، فالّذي خلق الكون خلق عقلًا يفهم الكون، والّذي وضع القوانين الدقيقة لمسيرة الكون وضع عقلًا يتمكّن من اكتشافها عبر المعادلات الرياضيّة، وهذه هي التوأميّة بين الإيمان بالعقيدة الإلهيّة وبين المسيرة العلميّة.

العنصر الرابع: أنّه لا يمكن للإنسان أن يكتشف أو يخترع أو يفسر حقيقةً من حقائق الكون حتّى يؤمن في رتبةٍ سابقةٍ بأنّ عقله قادرٌ على فهم ذلك، وأنّ ما يقوله له عقله من تحديدٍ وتفسيرٍ فهو صادقٌ فيه، أي أنّ هناك انسجامًا وتوائمًا بين بنية الكون وبين القدرات العقليّة المعرفيّة.

إنّ الإيمان بهذه العناصر الأربعة بوصفها قوامًا لكيان الكون، وقوامًا لأيّ مسيرةٍ علميّةٍ اكتشافيّةٍ هو بنفسه إيمانٌ بأنّ العقيدة الإلهيّة هي العصب في مجال المعرفة العلميّة، وهذا ما يقود إلى عقيدة التوحيد، حيث لا يمكن للإنسان أن يؤمن بتوفّر هذه العناصر الأربعة بهذه الدقّة اللامتناهية ما لم يؤمن أنّ هناك إلهًا واحدًا وراء ضبط هذه العناصر، وضبط القوانين الّتي وراءها، وهذا ما ترشد إليه الآية القرآنيّة: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)؛ لذلك قال بعض العلماء: لقد تبنّى الإنسان العلم عندما توقّع أنّ الطبيعة تتّبع قوانين، وقد حدث ذلك عندما آمن بالإله الواحد واضع القوانين، هذا كلّه على المستوى المعرفيّ والرؤية الكونيّة.

المستوى الأيديولوجيّ: إنّ الفارق بين الحضارة الدينيّة والحضارة الماديّة يكمن في نظريّة الخلافة، إذ إنّ الحضارة الماديّة تركز على أصالة الإنسان، وأنّ الإنسان هو قوام هذا الكون وهو ركنه الركين، وهو ركيزته الأساسيّة؛ ولذلك فالإنسان هو المشرّع وهو المنفّذ وهو المستثمر وهو المستهلك، وهو الّذي يشكل مبدأ المسيرة ومنتهاها، بينما الحضارة الدينيّة ترتكز على نظريّة الخلافة، أي أنّ الإنسان خليفةٌ في هذا الكون ووكيلٌ ونائبٌ وليس أصيلًا. قال الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

والخلافة ترتكز على ثلاث دعائم، الأولى: أنّ النظام الاقتصاديّ الّذي هو عصب الحضارة والنظام التربويّ والإداريّ يستند إلى المستخلف لا إلى فكر الخليفة، فإنّ الإنسان مهما بلغ من قوّة العقل ووفور الفطنة، فإنّ عقله محدودٌ لا يستطيع أن يستوعب تمام المصالح والمفاسد الّتي لا يحدّها زمانٌ ولا مكانٌ ولا مجتمعٌ، بحيث يضع أنظمةً وافيةً بتمام المصالح والمفاسد جامعةً للشرائط فاقدةً للموانع، بينما من خلق الوجود هو الأعرف بالمصالح التامّة الجامعة للشرائط، قال تبارك وتعالى: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)، فالمدار في الحضارة الدينيّة على نظام المستخلف لا على النظام البشريّ المخترع من قبل الخليفة.

والدعامة الثانية أنّ الحضارة الدينيّة تقوم على العلاقات الأخويّة، فليست العلاقة بين أبناء المجتمع الواحد وأفراد الحضارة الواحدة علاقةً ماديّةً، ليست علاقة مستثمرٍ ومستهلكٍ، أو علاقة منتجٍ ومستوردٍ، بل هي علاقةٌ أخويّةٌ قائمةٌ على التعاون والإيثار والتضحية والبذل، وإن لم يكن نصيبٌ ماديٌّ في المقابل. قال تبارك وتعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)، وقال تعالى: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَالْعَصْرِ - إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ - إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ).

والعنصر الثالث أن الكون يمرّ بعوالم، عالم التقرير وعالم الوجود الماديّ وعالم الآخرة، فلا بدّ أن ترتكز الحضارة على الربط بين هذه العوالم لا على التقوقع والانحصار في عالم المادّة العالم القصير الّذي يطويه الإنسان ثمّ يرتحل إلى العوالم الأخرى، فمن دعائم الحضارة أن تكون تعاليمها وقوانينها وعمرانها وموادها الاقتصاديّة مبنيّةً على الربط بين هذه العوالم المختلفة. قال تبارك وتعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا).

المستوى السلوكيّ: يعتمد الدين على أركانٍ ثلاثة: عقيدةٍ وشريعةٍ وقيمٍ، وحديثنا هنا عن المنظومة القيميّة الّتي تنبع من العقيدة الإلهيّة. فإنّ القيم الّتي يؤكّد عليها الدين منحدرةٌ عن صميم الفطرة الإنسانيّة، ممّا يؤكّد انسجام الدين مع البنية الفطريّة والشخصيّة الطبيعيّة للإنسان، ولو عزل الإنسان عن هذه القيم الدينيّة لأصبح متوحّشًا خطيرًا، لا يفكّر إلّا في إشباع نهمه الماديّ، ولا يكون عنصرًا فاعلًا في نشر المحبّة والأمن والسلم الاجتماعيّ، فلدينا عدّة علماء أكّدوا على أنّ المفاهيم الأخلاقيّة الّتي نادى بها الدين هي أمورٌ فطريّةٌ كامنةٌ في شخصيّة الإنسان، فهذا جيمس واتسون ذكر في كتابه (DNA) أنّ المفاهيم الأخلاقيّة مطبوعةٌ في جينات الإنسان منذ نشأته، وكذا روبرت ونستون رئيس الاتّحاد البريطانيّ لتقدّم العلوم، إذ قال في كتابه (الفطرة البشريّة):

إنّ الحسّ الدينيّ جزءٌ من بنيتنا النفسيّة، وهو مسجّلٌ في جيناتنا، ويتراوح قوّةً وضعفًا من إنسانٍ إلى آخر.

وبول بلوم أستاذ علم النفس بجامعة بيل بالولايات المتّحدة يقول: إنّنا كائناتٌ ثنائيّةٌ من جسدٍ وروحٍ، طُبع في جيناتنا الإيمان بحياةٍ أخرى تحيا فيها الروح بعد مغادرة الجسد الثاني.

لا شكّ أنّ هذا الإيمان هو أصل الفطرة الدينيّة. وكذلك دين هامر رئيس وحدة أبحاث الجينات بالمعهد القوميّ للسرطان بالولايات المتّحدة يرى في كتابه جين الألوهيّة أنّ الإنسان يرث مجموعةً من الجينات الّتي تجعله مستعدًّا لتقبّل مفاهيم الألوهيّة. ومن أجل تأكيد هذه النقطة وهي التواؤم بين القيم الدينيّة والشخصيّة الفطريّة للإنسان. يقول كولنجز أستاذ علم النفس والطبّ وعلوم الوراثة بجامعة واشنطن في نظريّة المزاجات والأخلاق الوراثيّة: إنّ هناك أخلاقًا فطريّةً هي قوام شخصيّة الإنسان.

الأوّل منها مصداقيّة الذات، ويعني وضوح الأهداف وثقة الإنسان بنفسه أنّه قادرٌ على تحقيق هذه الأهداف، وهذا ما يؤكّده القرآن الكريم في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)، ويقول تبارك وتعالى: (بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ)، كذلك قوله تعالى: (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى - وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى).

والثاني: التعاون، ويعني استعداد الإنسان لمساعدة الآخرين وتحملهم، والعزوف عن الانتقام قال تبارك وتعالى: (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) وقال تبارك وتعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ).

والثالث: تجاوز الذات أو السمو النفسيّ، الّذي يعني إنكار الذات والمسير نحو الإبداع والعطاء والبعد عن براثن المادّة، وهذا ما يؤكّده القرآن الكريم في قوله: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ).

إنّ هذا التوافق بين بنية الدين وبين الفطرة البشريّة يمتدّ إلى بايولوجيا الجسم الإنساني، وينعكس بشكلٍ إيجابيٍّ على صحّته الجسديّة والعقليّة والنفسيّة، يقول احد علماء الفيزياء بمركز الطبّ الخلويّ بنيوكاسل بإنجلترا: إنّ الآثار الإيجابيّة للإيمان الدينيّ على الصحّة الجسديّة والعقليّة والنفسيّة من أهمّ أسرار علم النفس والطبّ بصفةٍ عامّةٍ.

كلّ ذلك يؤكّد لنا أنّ هناك أبعادًا ثلاثةً تكمن في شخصيّة الإنسان، وهي الأنانيّة الناشئة عن حبّ النفس، والإيثار هو البعد الناشئ عن الروح الاجتماعيّة الّتي يملكها كلّ إنسانٍ، والضمير وهو عبارةٌ عن القوّة الرقابيّة الّتي أودعها الله في الإنسان لتحكم مسيرته، قال تبارك وتعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا - فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا - قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا - وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا). إنّ التوازن بين هذه الأبعاد الثلاثة في شخصيّة الإنسان ممّا تتكفّله القيم الدينيّة الّتي توفّر للإنسان شخصيّةً معطاءةً وعادلةً متوازنةً، وشخصيّةً حضاريّةً تجمع بين العطاء الماديّ والعلاقات الأخويّة والربط بين العوالم الوجوديّة المختلفة.

■ ٧: يتعرّض المجتمع الإسلاميّ بين فترةٍ وأخرى إلى موجاتٍ وتيّاراتٍ فكريّةٍ تتعارض مع عقيدته ودينه كالشيوعيّة والعلمانيّة بصورها المختلفة، وازداد الحديث في الآونة الأخيرة عن وجود ظاهرةٍ سلبيّةٍ خطيرةٍ في الجانب العقديّ والفكريّ انتشرت في أوساط بعض المثقّفين ممّن تستهويهم الموضات، وهي ظاهرة الإلحاد واللادينيّة، ما هي معلوماتكم حول حجم هذه الظاهرة؟ وما هي الآليّات الكفيلة بمعالجتها؟

إنّ ظاهرة الإلحاد الّتي بدأت تنتشر بسرعةٍ واضحةٍ في المجتمعات الإسلاميّة تستند إلى عدّة عوامل بعضها فكريّةٌ وبعضها إعلاميّةٌ وبعضها نفسيّةٌ وبعضها اجتماعيّةٌ.

الأولى: العوامل الفكريّة: إنّ أغلب من يتأثّر بالأفكار الإلحاديّة لا يمتلك ثقافةً واضحةً بالأسس والركائز الفلسفيّة، كمبدإ العلّيّة والسنخيّة والحتميّة، وعدم التفريق بين العلل المعدّة والعلّة بالأصالة، وعدم الإحاطة باستحالة التسلسل، وإنّ الاتّفاقيّ لا يكون أكثريًّا ولا دائميًّا، والخلط بين ما بالعرض وما بالذات، وعدم قراءة البحوث الّتي كتبها أعلام الفكر في المذهب الإماميّ حول فلسفة الشرّ والخير في العالم، أو الانفتاح على قراءة الفلسفة الغربيّة دون المقارنة بالفلسفة الإسلاميّة، والانبهار بالأسماء اللامعة في الثقافة العلمانيّة، وعدم القدرة على التمييز ووضع النقاط على الحروف.

الثانية: إنّ الإعلام المروّج للإلحاد واللادينيّة واللاأدريّة إعلامٌ مدعومٌ بالمال والوسائل المختلفة، فهناك قنواتٌ ومواقع وبحوثٌ وأساتذة جامعاتٍ وأقلامٌ تستميت في الدفاع عن الفكر الإلحاديّ، بل حتّى على مستوى بعض الجامعات في أمريكا وأوربّا يفضّل الأستاذ الملحد على الأستاذ المؤمن إذا تقدّم كلاهما إلى الجامعة وكانا متساويين في الكفاءة. وفي المقابل نرى ضعف الإعلام الدينيّ، حيث لا نجد اهتمامًا في مجال الإعلام الدينيّ بنقد الفلسفة الماديّة أو مواجهة الثقافة الإلحاديّة بالمنطق العلميّ الرصين، وقلّة المتصدّين في هذا الحقل وعدم قدرة كثيرٍ ممّن يتصدّى إلى دحض الشبهات والاجابة المقنعة عن الاستفهامات المتعلّقة بالعقيدة الدينيّة.

الثالثة: الأسباب الاجتماعيّة ومنها تعثّر مسيرة بعض الأحزاب الدينيّة، وسوء سمعتها في مجال الحكم والإدارة، وانشغال المجتمعات الدينيّة بالخلافات الداخليّة الّتي تصل إلى مستوى العداوة والكيد من البعض تجاه بعضهم الآخر، والتركيز على القضايا الثانويّة دون الأولويّة في مجال الإعلام، والاهتمام بالظواهر على حساب المعتقدات، وعدم تبنّي الحوزة العلميّة تطوير علم الكلام بما ينسجم مع دحض الشبهات المستشرية في مادّة الإلحاد واللاأدريّة، وبيان قوّة الدين وأهمّيّته في حياة الإنسان.

والقسم الرابع: وهو الأسباب النفسيّة ومنها الرغبة في التحرّر من القيود والقيم الأخلاقية، ومنها كما هو ملاحظٌ في الغرب عدم القدرة على تطبيق الأحكام الدينيّة بشكلٍ متكاملٍ في ضوء الحضارة الماديّة الّتي تركز على لذّة الإنسان ومتعته وإشباع شهواته وغرائزه بمختلف الوسائل الإعلاميّة المتاحة، ومنها المرور بأزماتٍ وآلامٍ نفسيّةٍ لا يجد الإنسان لها حلولًا في الثقافة الدينيّة بحسب ما يتلقّاه من وسائل الإعلام ووسائل التواصل المختلفة، والنفور من بعض تصرّفات المحسوبين على الدين والتديّن في الأموال أو في العلاقات الاجتماعيّة المختلفة، فهذه العوامل بمجموعها مهّدت وعبّدت الطريق أمام انتشار ظاهرة الإلحاد بأوضح صورها.

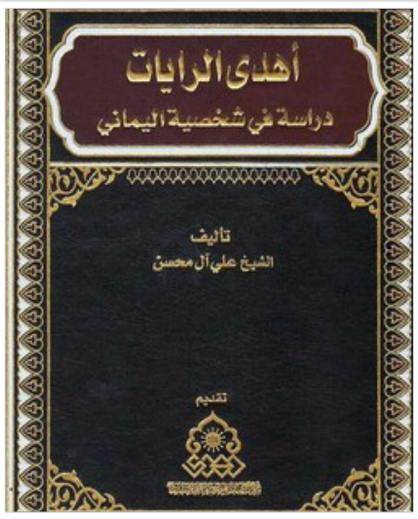

■ تعريف بكتاب

أهدى الرايات دراسة في شخصية اليماني

يشتمل الكتاب على بحوث متعددة حول شخصية اليماني المذكور في الروايات، الذي يخرج قرب ظهور الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف، ويبين فيه المؤلف ما يمكن أن يستفاد من الروايات في ما يتعلق باليماني، ويفند بعض الآراء التي جعلت من اليماني إماماً معصوماً وحجة من حجج الله تعالى وغير ذلك.

وهذا الكتاب هو الاصدار رقم ١٧٨ من اصدارات مركز الدراسات التخصصية في الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

يحتوي الكتاب على ٢٧٥ صفحة ويحتوي على عدة محاور من اهمها:

من هو اليماني
هل اليماني من اليمن او من البصرة؟
خروج اليماني من العلامات الحتمية للظهور المقدس
هل اليماني هو الممهّد الرئيس للامام المهدي عجل الله فرجه الشريف
مقامات اليماني
هل تجب نصرة اليماني
هل اليماني قائد الرايات السود؟

■ صدر حديثاً

جامع المدارك في شرح المختصر النافع

صدر حديثاً عن قسم الشؤون الفكريّة والثقافيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة، كتاب (جامع المدارك في شرح المختصر النافع): تأليف الفقيه السيد أحمد الموسوي الخوانساري (ت ١٤٠٥هـ)، وتحقيق الشيخ محمد باقر ملكيان.

وأشرف على مراجعة الكتاب واصداره مركز الشيخ الطوسي للدراسات والتحقيق التابع للقسم المذكور.

مدير المركز الشيخ مسلم الرضائي بين قائلا: «يُعدّ هذا الكتاب دورة فقهيّة استدلاليّة شبه تامّة على متن المختصر النافع للمحقق الحلّي قدس سره، إذ تميّز هذا الشرح بالدقة والاختصار غير المخلّ، فقد استوعب مباحث الفقه في عشر مجلّدات».

■ مقالة

الحوزة العلمية
وامكانية تطويرها منهجياً

■ الشيخ ماجد الطرفي

الحوزات العلمية، وهي مدارس العلوم الدينية لدى الشيعة، تميزت عن سائر المدارس الدينية في العالم الاسلامي بأمور اساسية جعلتها تستمر بالعطاء ومواكبة تطورات الزمن، منها:

١- فتح باب الاجتهاد وتوفير أجوبة لمختلف الاسئلة والمشكلات التي تواجه الأمة على مر الزمن

٢- التلاحم بين علماء الدين وجماهير الامة

٣- الاستقلالية المالية والسياسية

مع ذلك هناك من الأسباب التي أدت إلى ضعف الحوزة العلمية – بالرغم من هذا العطاء المتواصل – بسبب تسارع وسيلة التقدم في المجتمعات البشرية، وانشغال الحوزة العلمية في مواجهة الطغاة وإدارة شؤون الأمة هنا وهناك، الذي شغلها عن دورها في تطوير مناهجها؛ بما يتماشى مع الانطلاقة العلمية وتطوراتها، وضرورة أن يكون ذلك ضمن ضوابط الشريعة والتمسك بثوابت مناهج الحوزة العلمية.

٢) لذا لنا أن نوجد تكاملاً بين الحوزات العلمية وبين العلوم الحديثة بالرغم من وجود الاختلاف، من حيث أن الحوزة العلمية؛ عاشت؟ في إطار الآخرة ونسيت الدنيا بما فيها من وسيلة للوصول للآخرة «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»، وأما الجامعات فحددوا فكرهم وسلوكهم في هذه الحياة الدنيا، وأهملوا ما عليهم من نصيب الآخرة.

الحل الأمثل لذلك الاختلاف هو أن نحوله إلى تكامل عميق، بأن يكتمل منهج الجامعة بمرور الزمن لما فيه مرضاة الله تعالى والإيمان به، أي العيش للدنيا لها وللدين «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ»، وهكذا الحوزات تتكامل بالاستحواذ على علوم أهل الأرض وجعلها في خدمة العباد؛ وهذا بدوره يحتاج إلى تغيير جدي وجوهري في مناهج الدراسة، مثلاً:

إذا كانت المناهج الدراسية وسبلها التعليمية المعتادة للقراءة، وبعض الدروس العلمية والدروس الإنسانية التي تتكامل مع العلوم الدينية، ففي مقابل ذلك ينبغي لرياض الأطفال والمدارس الابتدائية الحديثة أن تبتنى إلى أسس دينية متينة ومن ثم تتكامل الدراسة فتكون: الدين قيم، حيث تبنى شخصية الطفل منذ البدء على قيم الدين الحنيف. والعلم وسيلة، وهي دراسة تتكامل مع الطالب كلما تقدمت به الدراسة من الثانوية إلى الجامعة وحتى الدراسات العليا.

فبهذا المنهاج الذي رسمه سماحة السيد محمد تقي المدرسي ممكن أن يسد الفجوة التي تفصل بين مساري الحوزة والجامعة؛ فتكون الحوزة في ذلك أقرب إلى العصر الحديث والجامعة أقرب إلى الدين بالدرجة الأولى وقريبة إلى واقع المجتمع الإسلامي، لذا يقول سماحته: « كم هي المنافع المتوخاة من هذه الوحدة العميقة التي طالما عانينا من انعدامها ومن الخلاف المؤلم بين أجنحة المجتمع الإسلامي».

٣) على هذا الأساس علينا المسارعة في طي المراحل، من خلال الاهتمام بكل لحظة من لحظات الحياة لكي يكون العمل مثمراً، كما هو حال علمائنا الذين كانوا يتجنبون اللغو ويعرضون عنه؛ والدليل هو إنجازاتهم العلمية والجهادية عبر التاريخ، كما في جهادهم في نشر التشيع وفتوى التنباك وغيرها، الذي كان على أثرها تخلص المجتمع من المحتل؛ وخصوصاً اليوم وفي عصر الحاضر، كفتوى الجهاد الكفائي ضد المعتدين على بلدنا.

هذا كله يدل على كفاءة المناهج الحوزوية المستوحاة من الدين الحنيف في طي المراحل في سرعة قياسية، مع بقاء هذه الحوزات محتفظة باستقلالها وقوتها وامتدادها وسلامة برامجها؛ لا كما يقال من أن الحوزة مضيعة للوقت.

وخصوصاً لو أضفنا إلى تلك المناهج الكفاءات العالية والأساليب العصرية التي تظهر نتيجة التجارب المتراكمة والخبرات والتقنيات الحديثة، والتي تتخذ كعوامل للإنجاح منهج المسارعة في طي المراحل، الذي بدوره يحتاج إلى تقنية عالية في تنمية القيادات التي تُستوحى من الدين، ومن تجارب الأسلاف السابقين من المؤمنين، ولاسيما التجارب الحديثة التي من الممكن الحصول عليها من مصادرها.

وكلما كان هذا المنهج مدروساً بشكل صحيح وعلمي وبأيدٍ كفوءة، كان أبلغ منالاً، من خلال رسم مقدمة ممنهجة قبل البحث في التفاصيل.

وقد جاء القرآن الكريم ببصائر؛ فرسم لنا منهجاً متكاملاً وخطه لنا وبشكل مستقيم نحو معرفة الحقائق؛ هكذا لابد للطالب أن يستوعب مناهج الدين المعرفية بشكل متفاعل، فكرياً، وسلوكياً، وخلقياً، قبل الدراسة ومعها وبعدها.

وهذا كله يقع على عاتق المربين في توجيه الطالب إلى معرفة الحقائق التي توصله للمطلوب، وجعله يكتشف وبسهولة مصادر الفكر التي تدخل في قلبه على أساس من الآيات والبينات.

٤) وان المنهج العلمي يحتاج إلى الوصول للحقيقة والنظر إليها بشكل موضوعي، اعتماداً على الأسس الأصلية (الكتاب والسنة) اللذين هما أساس تزكية النفس للابتعاد عن المخلفات المتراكمة داخل الإنسان التي اقتبسها من المحيط الخارجي، لكي يكون هذا المنهج رصيناً خالياً من الأفكار المسبقة.

ولكي يكون الطالب موضوعياً وقادراً على تجاوز ذاته وأهوائه وميوله الشخصي، التي من الممكن أن تزيغ به عن الحقيقة؛ فعليه أن يعرج إلى مراتب الكمال حتى يبلغ المستوى الرفيع، من خلال اتباع البرامج العلمية لتزكية النفس باتباع المنهج الديني الحنيف من تلاوة القرآن الكريم والاتعاظ بكلامه وأخذ العبر منه، ومداومة قراءة الأدعية المأثورة لأهل البيت عليهم السلام إضافة إلى ترويض النفس على طاعة الله بالصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك الذي يكسب به؛ لأن هذا له علاقة برسم المنهج السليم.

وذلك يستوجب على الطالب الجهد المتواصل لكسب المزيد من العلم، ولهذا الكسب يحتاج إلى أن يسلك سبلاً تتمثل في تنمية العقل وتوسيع القدرات الفكرية، أفضل من تراكم المعلومات وتنضيدها والحفاظ عليها من دون الاستفادة منها.

من اليوم الأول لانتماء الطالب المجد لطريق علوم أهل البيت عليهم السلام علينا الاهتمام بعقله وتنمية قدراته الإبداعية وبكل الوسائل السليمة، صحيح قد لا يصل الطالب إلى درجة الاستنباط (الاجتهاد)، ولكنه يكون قد وصل إلى مستوى التفقه، الذي هو مستوى الفهم العميق للدين، ولا يكفي التلقي السطحي.

■ **ومن أهم البرامج العلمية الحوزوية لطالب العلم هو تدريبه على كيفية كشف الحقائق بنفسه، ويكون ذلك عبر الوسائل الشائعة في الحوزات العلمية:**

١- حرية الرأي في فهم الوحي ومعرفة ظروف تطبيقه.

٢- المباحثة مع زملائه من الطلبة التي يجب عليهم أن يزاولوها من بعد تلقي دروسه من أساتذته، الذي يفيد بعض الطلبة لفهم المادة أكثر من حضوره في الدرس.

٣- التدبر في كتاب الله تعالى الذي يفتح للطالب آفاق المعرفة من الآيات المباركة.

٤- دراية الحديث من خلال تأكيد الدين على هذه الأحاديث والتأمل فيها وفي كلماتها ومعاريضها وآفاقها لا مجرد قراءتها، بل يجب أن تدرس من قبل أساتذة مختصين بالحديث والمباحثة فيها بين الطلبة.

٥- القدرة على التحليل العلمي للواقع، كما في الرواية التي تقول: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عزّوجل»، من خلال تدريب الطالب على تحليل الواقع السياسي والاجتماعي بموضوعية، فذلك يسهم في نجاحهم في مستقبلهم

٦- التركيز على القواعد والمعايير الثابتة، من أن يكون فكر الطالب مهيأ لمعرفة الحقائق التي تبنى على أساس مقاربة الحوادث مع قواعدها العقلية أو الشرعية أو حتى العرفية والقانونية، وهذه هي مسؤولية الأساتذة.

٥) وأخيراً نتناول الجانب التخصصي والمنهجي الدراسي لطالب العلم، الذي بدوره يتخصص عملياً في جوانب متعددة، وهذا هو الخطأ الشائع عند البعض في التخصصات المتعددة؛ قد لا تتوافق مع منهجهم الدراسي مع ما سوف يتخصصون فيه مما يسبب في مفارقات مضرة.

من أجل تخطي ذلك؛ فإن الأمة بحاجة إلى رجال يستشرفون الحياة من جميع أبعادها، وفي نفس الوقت يمثلون المرجعية والقيادة فيها؛ فإن توسع العلوم وتعدد الحاجات وتعقيدات الحياة، كل ذلك لا يسمح للإنسان أن يبلغ الذروة في تخصصات متعددة.

لذا يقتضي عصرنا هذا التخصص والمزيد من الاهتمام في جوانب محدودة من العلوم والمهارات، مما ازدادت أهمية الإدارة وجمع شتات التخصصات في حقل واحد لأداء مهام محدودة.

وإن طلبة العلوم بدورهم يتخصصون عملياً في جوانب محدودة، ولكن قد لا يتوافق مع منهجهم الدراسي مع ما يتخصصون فيه؛ وهذا يقتضي دراسة حقول خدمة الطلبة في المستقبل، ومن ثم دراسة توجيهات كل طالب وميوله لخدمة المجتمع، عندها يتسنى لنا أن نخصص مناهجهم لما يصبون إليه من ميادين الخدمة لإدارة شؤون المجتمع المسلم؛ ولا ضير في أن ندع المجال مفتوحاً لمن يستوعب المزيد من المعارف ليصبح في صفوة القادة، كالصفوة وحواريي العلماء والوكلاء العاملين وغيرهم.

المصدر: الاجتهاد

■ ملاحظة

النزاع بين الأصوليين والأخباريين في شأن الدليل العقلي

■ الشيخ محمد صنقور

وقع النزاع بين الاصوليين والإخباريين عليهم السلام في شأن الدليل العقلي، فذهب الاصوليون إلى حجيّة الدليل العقلي القطعي وصلاحيّته للدليليّة على الحكم الشرعي، وأمّا الإخباريون فقد اختُلف في مركز نزاعهم مع الأصوليين، وهل انّ اختلافهم مع الاصوليين كبروي أو صغروي.

ذهب الشيخ صاحب الكفاية رحمه الله الى انّ النزاع مع الإخباريين صغروي، بمعنى انّهم لا ينكرون حجيّة الدليل العقلي لو كانت نتيجته قطعيّة إلاّ انّهم يدعون عدم امكانية حصول القطع بالنتائج العقليّة، فالعقل قاصر دائماً عن إدراك الحكم الشرعي.

وأمّا السيّد الخوئي رحمه الله وجمع كبير من الأعلام فقد ذهبوا إلى انّ مركز النزاع بين الأصوليين والإخباريين كبروي، بمعنى انّ الدليل العقلي ساقط عن الحجيّة انتج القطع أو لم يُنتجه، ولهذا قالوا بعدم حجيّة القطع الناشئ عن مقدمات عقليّة.

■ **وكيف كان فلابدّ من بيان المراد من الدليل العقلي الذي يرى الاصوليون صلاحيته لإثبات أو نفي الحكم الشرعي فنقول:**

انّ كلّ قضيّة يكون الواسطة في إثبات محمولها لموضوعها هو المُدرك العقلي بحيث تتأهل تلك القضيّة بعد ذلك لأن تكون لها صلاحية الكشف عن حكم شرعي أو نفي حكم شرعي فهذه القضيّة يُعبَّر عنها بالدليل العقلي في اصطلاح الأصوليين.

مثلاً: (الظلم قبيح) قضيّة ثبت فيها حكم لموضوع وذلك بواسطة إدراك العقل، فهي إذن قضيّة عقليّة، والتعبير عنها بالدليل باعتبارها صالحة للكشف عن حكم شرعي أو المساهمة في الكشف عنه، فدليليّة هذه القضيّة باعتبار توسطها في اثبات حكم شرعي أو نفي حكم شرعي.

■ **ثم انّ هنا أموراً أربعة يتحدد بها المراد من الدليل العقلي:**

الأمر الأوّل: انّ المراد من المدركات العقليّة التي يرى الاصوليون انّ لها الدليليّة على الحكم الشرعي هي خصوص المدركات العقليّة القطعيّة، وأمّا الظنيّة فهي خارجة عن مقصود الأصوليين أعني الاماميّة منهم.

وبهذا يتّضح انّ النزاع الواقع بين الاصوليين والاخباريين انّما هو في المدركات العقليّة القطعيّة، وهو غير النزاع الواقع بين الإماميّة وبين أهل السنّة حيث ذهب كثير من أهل السنّة إلى حجيّة الظنون العقليّة، وهو ما يمنعه جميع الاماميّة دون استثناء، وما وقع من بعض الإخباريين من نسبة القول بحجيّة الظنون العقليّة إلى الاصوليين فهو ناشئ عن الغفلة عما هو مبنى الاصوليين في الدليل العقلي أو ناشئ عمّا وقع في بعض كلمات الأصوليين في مقام معالجة بعض المسائل الشرعيّة الفرعيّة، إذ انّ بعض كلماتهم قد توهّم تبنّي الظنون العقليّة إلاّ انّ ذلك ناشئ عن الإشتباه في تطبيق كبرى حجيّة الدليل العقلي القطعي على صغرياته، وليس ذلك بعزيز فقد يقع الإشتباه في تطبيق كبرى حجيّة الظهور مثلا إلاّ انّ ذلك لا يعني تبنّي القول بحجيّة المجمل.

وقد يكون منشأ هذه النسبة من بعض الإخباريين هو ما يراه بعضهم من تعذُّر القطع بنتائج المدركات العقليّة وانّ أقصى ما يُنتجه الدليل العقلي هو الظن بالحكم الشرعي إلاّ انّ ذلك بحث صغروي قد يتبنّاه بعض الاصوليّين أيضاً.

الأمر الثاني: انّ المدركات العقليّة التي لها الدليليّة على الحكم الشرعي هي الأعم من المدركات العقليّة العمليّة والمدركات العقليّة النظريّة، فكلُّ مُدرك عقلي صالح لأن يُتستنبط منه حكم شرعي فهو مشمول للدليل العقلي الذي يقول الاصوليين بحجيّته.

مثلا: الإستلزامات العقليّة تدرك بواسطة العقل النظري فهي داخلة بلا ريب في المقصود من الدليل العقلي، وهكذا الكلام في المستقلات العقليّة المدركة بواسطة العقل العملي.

وقد شرحنا المراد من الإستلزامات والمستقلّات وكذلك العقل العملي والنظري كلّ واحد تحت عنوانه.

الأمر الثالث: انّ المدركات العقليّة التي هي محلّ البحث في علم الاصول هي التي يمكن ان يُستفاد منها استكشاف حكم شرعي أو نفي حكم شرعي، فهي إذن خصوص المدركات الواقعة في رتبة الكتاب والسنة الشريفين والتي لها نفس الدور الثابت لهما، أي دور الدليليّة والكاشفيّة عن الأحكام الشرعيّة.

وبذلك يتّضح خروج نحوين من المدركات العقليّة عن البحث الاصولي.

النحو الاول: وهي المدركات العقليّة التي تثبت بها حجيّة الكتاب والسنّة الشريفين، فهي إذن ليست في رتبة الكتاب والسنّة بل هي الموجبة لحجيّتهما، وذلك لأنّ ثبوت الحجيّة لهما لا يمكن أن يتمّ بواسطة نفس الكتاب والسنّة وإلاّ لزم الدور المستحيل، كما انّ الاعتقاد بصدق الكتاب والسنّة من الاصول الاعتقاديّة والتي لا يكتفى فيها بالظن فلا سبيل لثبوت الحجيّة لهما إلاّ الأدلّة العقليّة القطعيّة، وهذه الأدلّه ليست محلا للبحث الاصولي كما انّها لم تقع محلا للنزاع.

النحو الثاني: وهي المدركات العقليّة الواقعة في رتبة معلولات الأحكام الشرعيّة، أي انّها متأخّرة عن الحكم الشرعي ويكون الحكم الشرعي بمثابة العلّة لوجودها، فلولا تقرّر الحكم الشرعي في رتبة سابقة لما كان لذلك الإدراك وجود.

ومثال هذا النحو من المدركات العقليّة هو ما يُدركه العقل من حسن الطاعة وقبح المعصية، فإنّ هذا الإدراك مترتّب على وجود أوامر للمولى، فالعقل لا يحكم بحسن الطاعة وقبح المعصية لو لم تكن أوامر للمولى جلّ وعلا، فلو قطع المكلّف بعدم وجود تكليف إلزامي تجاه فعل معيّن فإنّ العقل لا يُدرك حينئذ حسن الطاعة وقبح المعصية تجاه هذا الفعل، ولمزيد من التوضيح راجع (الأمر الإرشادي).

وبذلك يتّضح انّ المدركات العقليّة الواقعة محلا للبحث الأُصولي هي خصوص المدركات الواقعة في رتبة الكتاب والسنّة والتي يمكن ان يُستنبط منها حكم شرعي أي انّها واقعة في رتبة علل الاحكام الشرعيّة.

الأمر الرابع: انّ المقصود من الدليل العقلي هو الأعم من الصغرى والكبرى الواقعتين في القياس المنتج لدليليّة الدليل العقلي.

فدليليّة الصغرى باعتبار وقوعها صغرى في قياس نتيجته دليلية الدليل العقلي، وهكذا الكلام في الكبرى، فكلّ منهما يُساهم في نتيجة القياس والتي هي دليليّة الدليل العقلي أي حجيّة المدرك العقلي المعيّن.

■ **وبتعبير آخر: انّ البحث الاصولي عن الدليل العقلي يقع في مقامين:**

الاول: صغروي وهو البحث عن اثبات القضايا العقليّة أو قل المدركات العقليّة مثل حسن العدل وقبح الظلم وانّ الأمر بالشيء يقتضي النهي عن ضدّه وهكذا، فهل انّ العقل يُدرك هذه القضايا حقاً وهل انّ ادراكه لها (لو كان) قطعي؟

الثاني: كبروي وهو البحث عن حجيّة المدركات العقليّة، بمعنى انّ القضايا التي ثبت في البحث الصغروي انّها مدركات عقليّة هل لها الدليليّة على الحكم الشرعي وهل هي صالحة للتنجيز والتعذير أو لا؟

إذ من الواضح انّ إدراك العقل لقضيّة من القضايا لا ينهي البحث ولا يُثبت الدليليّة لما أدركه العقل إلاّ أن يقوم الدليل على حجيّة هذه المدركات، وهذا ما يتصدى له البحث الكبروي، فلو تمّ في البحث الاصولي حجيّة كلّ ما يُدركه العقل فحينئذ تثبت دليلية الدليل العقلي، أي تثبت الحجيّة للقضيّة المدركة بواسطة العقل في البحث الصغروي.

المصدر: الاجتهاد

مقاله

المدرسة الأخبارية في كربلاء

⚠ الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

منذ القرن العاشر الهجري شهدت الحركة العلمية في كربلاء فتورا نسبيا، وإشتد هذا الفتور، وإتخذ منحى خطيرا في القرن الحادي عشر، وإستمر فشمل القرن الثاني عشر أيضا ، إلا ما أستثني منه عقداه ألأخيران. ولم يقتصر الفتور العلمي على حوزة كربلاء بل شمل كذلك حوزة النجف وسائر الحوزات في العراق وإيران .

ففي القرن العاشر الهجري، لم تبرز على الساحة العلمية في كربلاء شخصيات علمية من الطراز ألأول، صحيح أن هناك أسماءا لمعت، لكن أصحابها لم يكونوا بتلك المكانة العلمية الرفيعة بما يؤهلهم لخلق نهضة علمية نشطة، أي أن المسرح العلمي خلا من الشخصيات التاريخية ومن الرموز المتألقة التي تكمن فيها عوامل الجذب والحركة، والتجديد وألإبداع، وكان من نتيجة ذلك أن حصل تخلخل أو بألأحرى فراغ على الساحة العلمية ألإسلامية.

وبسبب الفتور العلمي الطويل الذي ساد الحوزات العلمية في كربلاء والنجف والحوزات العلمية في إيران، وكذا غياب ألإتجاه العلمي المتعمق والمسنود بقوة العقل والمنطق والعرف المقبول، باتت نزعة التصوف تطغى على كل شيء وتتخذ طابع الغلو المتزايد.

وهكذا إنصرم القرن الحادي عشر مثلما إنصرم أكثر عقود القرن الثاني عشر فيما الروح العلمية راكدة وفاترة إلى حد كبير، حتى أنه بعد الشيخ المجلسي صاحب كتاب «بحار ألأنوار» المتوفى سنة ١١١١ هـ، لم تلمع أسماء بارزة من الفقهاء ألأصوليين، ممن يستحقون أن يصنفوا في الطبقة ألأولى، أو ممن تتوفر لهم مكانة الرئاسة العامة، ما للشخص المجتهد من المستحدثات وقد ضمن آراءه هذه في كتاب سماه «الفوائد المدنية في الرد على من قال بألإجتهاد والتقليد» وهو كتاب مطبوع وكان عند تأليفه له مجاورا بالمدينة، فسماه بـ«الفوائد المدنية . . . ».

أو إثنين ظهرا في أواخر القرن الثاني عشر وهما الشيخ الفتوني في النجف المتوفى سنة ١١٨٣ هـ، والمجتهد البارع ألآغا وحيد البهبهاني في كربلاء المتوفى سنة ١٢٠٨ هـ.

وأمام ظاهرة تفشي نزعة التصوف والمغالات فيها إلى أبعد الحدود، كان لا بد من حدوث رد فعل معاكس، غير أن الرد العكسي هذا، لم يأت من جانب دعاة توظيف علم ألأصول في إستنباط ألأحكام الشرعية من نصوصها ألاصلية والفرعية، وما يتطلب ذلك من تدقيق وتحقيق في مصادر ألأخبار والروايات، ومن فرز بين قويها وضعيفها، وبين ما هو من ألأخبار حقيقي وما هو مدسوس ومختلق تبعا لشخصية الرواة والمحدثين، بل جاء الرد من أفكار جديدة ظهرت على الساحة الدينية في كربلاء أولا، ومن ثم في حوزة النجف، فبدأت تدعو الناس إلى التمسك فقط بألأخبار الواردة في الكتب الموثوق بها، والتقيد بظواهرها دون إعتبار لمصادرها ونبذ علم الأصول، من حيث أن العقل لا يجوز الرجوع إليه في كل شيء.

ثم بدأت مع هذه ألأفكار مسيرة الغلو، حتى إنتهى المطاف بها إلى مرحلة نكران ألإجتهاد وترك التقليد في المسائل وألأحكام الشرعية.

وبظهور هذه ألأفكار نشأت مدرسة ألإخبارية الحديثة، وكان أول من دعا لهذه الفكرة هو السيد الميرزا محمد أمين ألإسترابادي المتوفى سنة ١٠٢٣ هـ، وقد تزعم ألإخباريين في القرن الحادي عشر الهجري، وهو أول من باحث المجتهدين ألأصوليين، داعيا للعمل بمتون ألأخبار الواردة قائلا: إن إتباع العقل وألإجماع وإجتهاد المجتهد وتقليد العامي ثم لمع إسم شخصية علمية ذات مكانة مرموقة وشأن عظيم على صعيد الفقه الجعفري ألإمامي في حوزة كربلاء، هو المحدث الكبير والفقيه النحرير الشيخ يوسف بن الشيخ أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن عصفور بن أحمد بن عبدالحسين بن عطية بن شبية الدرازي البحراني صاحب كتاب «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة»، المولود سنة ١١٠٧ هـ والمتوفى سنة ١١٨٦ هـ والذي كان من أجلاء وأفاضل العلماء المتأخرين، وكان صاحب ذهن متوقد وذوق سليم متزن وله باع طويل في الفقه والحديث وكان على طريقة ألإخباريين، وإن لم يكن متطرفا في ميله هذا، ويقال إنه إتجه إلى ألأصول عندما أقنعه العلماء المجتهدون وعلى رأسهم الوحيد البهبهاني.

■ **وقد قال في حقه أبو علي صاحب كتاب الرجال:** عالم فاضل متبحر ماهر محدث ورع عابد صدوق ديّن من أجلة مشايخنا المعاصرين، وأفاضل علمائنا المتبحرين، كان أبوه الشيخ أحمد من أجلة تلامذة شيخنا الشيخ سليمان الماحوزي وكان عالما فاضلا محققا مدققا مجتهدا صرفا . . . رجع إلى الطريقة الوسطى وكان يقول أنها طريقة العلامة المجلسي صاحب البحار وعلق صاحب «أعيان الشيعة» على الطريقة الوسطى بقوله: وكان مراده بالطريقة الوسطى ترك بعض ما يقوله ألإخباريون من أنهم لا يعملون إلا بالقطع، وإن ألأخبار قطعية وغير ذلك من ألأمور، وإلا فالرجل إخباري صرف، لا يدخل في شيء من طرق المجتهدين كما تشهد بذلك مصنفاته، نعم ربما يكون قد ترك شيئا من مقالاتهم، فقيل فيه أنه على الطريقة الوسطى.

وقال في ترجمته نفسه في «إجازته الكبيرة»: أنه ولد في السنة السابعة بعد المائة وألألف في قرية «الماحوز» بالبحرين، وإشتغل وهو صبي على والده (طاب ثراه) ثم على العالم العلامة الشيخ حسين الماحوزي، وإشتغل أيضا على الشيخ أحمد إبن عبدالله البلادي وغيرهما من علماء البحرين، وبقي مدة مشتغلا بالتحصيل، ثم سافر إلى الحج وزار النبي صلى أللة عليه وآله وسلم وأهل بيته، ثم رجع إلى القطيف وبقي بها مدة مشتغلا بالتحصيل، وبعد خراب البحرين وإستيلاء ألأعراب وغيرهم عليها فر إلى ديار العجم وقطن كرمان، ثم في شيراز وتوابعها من ألأصطهبانات مشتغلا بالتدريس والتأليف، ثم سافر إلى العتبات العاليات وجاور كربلاء شرفها أللة، إلى أن قبض بها بعد ظهر يوم السبت الرابع من شهر ربيع ألأول سنة ست وثمانين بعد ألألف والمائة، وتولى غسله كما في رجال أبي علي المقدس الشيخ محمد علي الشهير بإبن السلطان والحاج معصوم وهما من تلامذته، وقال: صلى عليه العلامة البهبهاني (الوحيد البهبهاني)، وإجتمع خلف جنازته جمع كثير وجمهور غفير مع خلو البلاد من أهلها لحادثة نزلت بهم، قيل وهي الطاعون العظيم الذي كان في تلك السنة في العراق، وهاجر فيها السيد بحر العلوم إلى مشهد الرضاؑ ثم رجع إلى أصفهان، ودفن في الرواق عند رجلي سيد الشهداء مما يقرب من الشباك المبوب المقابل لقبور الشهداء، وإبتلي في آخر عمره بثقل السامعة، كما عن المحقق السيد محسن البغدادي في رسالته التي رد بها مقدمات الحدائق.

■ **له مؤلفات نافعة منها وهو أحسنها:** «الحدائق الناضرة في احكام العترة الطاهرة »، خرج منه جميع العبادات إلا الجهاد، وأكثر المعاملات إلى الطلاق، و «الدرر النجفية»، و «سلاسل الحديد في تقييد أبي الحديد» ردا على شرحه لنهج البلاغة، و «الشهاب الثاقب في معنى الناصب»، و «النفحات الملكوتية في الرد على الصوفية»، و «أعلام القاصدين إلى مناهج أصول الدين»، و «معراج النبيه في شرح من لا يحضره الفقيه»، و «جليس الحاضر وأنيس المسافر»، و «لؤلؤة البحرين»، والكتاب ألأخير يشتمل على ترجمة أحوال أكثر علماء الشيعة إلى زمان الصدوقين، وعشرات من الرسائل من أهمها: «إنفعال الماء القليل بالنجاسة» ردا على الكاشي، و «الرد على السيد الداماد في قوله بعموم المنزلة في الرضاع»، و «أجوبة المسائل البحرانية»، و «أجوبة المسائل البهبهانية» و «أجوبة المسائل الكازرونية»، و «أجوبة المسائل الشيرازية ».

مما تقدم يتبين لنا أن حوزة كربلاء اصبحت متأثرة بالمدرسة ألإخبارية وباتت هذه المدرسة هي الموجهة للحركة التدريسية فيها وإستمرت هذه المدرسة تفرض نفسها على الحركة العلمية في حوزتي كربلاء والنجف وبعض الحوزات ألأخرى، لفترة ناهزت نصف القرن ، لكنها هي ألأخرى طوت مسيرة الغلو، وذلك بالرغم من ميل كبار الفقهاء ألإخباريين، الذين إختاروا الطريقة الوسطى والذين لم ينزلقوا في متاهات الغلو المفرط، مثل العالم الجليل الشيخ يوسف البحراني المتزمتين والمغالين، كما جاء آنفا.

ولكن عندما وصلت المدرسة الإخبارية إلى ذروة شأنها، كان لابد من حصول ردة فعل في مواجهتها، وهكذا برز التحدي الكبير، وكان ذلك من جانب الفقيه العبقري، والمجتهد الفحل الشيخ باقر وحيد البهبهاني.

وتبقى هناك حقيقة أخرى وهي أن للإخباريين حججهم وبراهينهم، ووجهة نظرهم التي لم يتسنى ألإطلاع عليها بالتفصيل ، بيد أن من جملة ما يقولونه، هو أن ألإلتزام بألأخبار المنقولة، كان سنة السلف الصالح وكبار علماء الشيعة من قبل، وحتى أن ألأئمة ألأطهارؑ كانوا أخباريين بدورهم أيضا.

والجدير بالذكر هنا، ان هذه المعالجة للحركة ألإخبارية لا تبطن إنحيازا أوإساءة لأحد أو لفئة ، بل الغاية منها هي شرح حقيقة عاشتها الحوزة العلمية في كربلاء قبل أكثر من قرنين ، إذ لا يمكن نكران حقيقة أنه كانت هناك جولة فكرية للإخباريين على الساحة التدريسية والعلمية في كربلاء والنجف، ومن ثم إنكماش لهم أمام مدرسة ألأصوليين بزعامة الوحيد البهبهاني، هذا تاريخ لم نأت به جديدا. والمهم في ألأمر أن الحرية الفكرية الموجودة في الحوزات العلمية تُاطر دائما بإطار التقوى والتدين ويرجع الشرخ الذي يحدث أحيانا بسبب نشوء أفكار جديدة على الساحة العلمية يرجع ليكون التلاطم هو البديل.

المصدر: شبكة كربلاء المقدسة

أسئلة وردود

السؤال: هل صحيح ما يقال: إن في لسان النبي موسى عليه السلام عقدة وعجمة، تمنعه من الكلام الفصيح والمفهوم؟

وما معنى قوله تعالى: (وأحلل عقدة من لساني)؟

الشيخ معتصم السيد أحمد

■ **يبدو أن الداعي لهذا السؤال هو ما اشتهر في بعض التفاسير:** بأن موسى قد أكل جمرة في صغره فأحدثت له عاهة في لسانه منعته من النطق الواضح والفصيح.

وقد اعتمد هذا التفسير على بعض الروايات المرسلة عند الفريقين سنة وشيعة، وهذه الروايات وإن كان لها صيغ متعددة، إلا أنها تشترك في معنى واحد؛ وهو أن فرعون أراد أن يقتل موسى بعد أن صدر منه أمراً أغضبه، فقالت امرأة فرعون: إنّه غلام حدث، لا يدري ما يقول، ثمّ اقترحت أن يضع أمامه تمر وجمر، ليرى هل يميّز بينهما، فمدّ موسى يده إلى التمر، فجاء جبرئيل فصرفها إلى الجمر، فاحترق لسانه.

وقد تمّ التشكيك في هذه الرواية من بعض علماء السنة والشيعة، فالرواية مرسلة من جهة الإسناد، ومن جهة المتن لا تصلح أن تكون مفسرة لقوله تعالى (واحلل عقدة من لساني) وذلك من عدة وجوه:

أولاً: الظاهر من الرواية أنّها تثبت وجود عاهة ونقص في موسى، وهذا خلاف المبدأ العقليّ الحاكم بكمال الأنبياء من كل نقص يوجب القدح فيهم.

ثانياً: عاش موسى قبل بعثته فترة في قومه، كما أنه عاش عشر سنين في مدين، ولا وجود لأي إشارة تؤكد أنه كان يعاني في النطق والتفاهم، ولم يتحدّث موسىؑ عن عقدة لسانه إلا بعد تكليفه بالرسالة، الأمر الذي يقودنا إلى ضرورة النظر لهذه الآية - بعيداً عن هذه الرواية - للوقوف على المقصود من عقدة اللسان التي بدأت مع التكليف بالرسالة.

ثالثاً: قوله تعالى (واحلل عقدة من لساني) لا تدل بالضرورة على وجود عيب في اللسان، سواء كان بسبب خلقي أو بسبب احتراقه بالنار، فعقدة اللسان تحدث في مواقف كثيرة، مثل: الرهبة والدهشة والخشية والخجل أو غير ذلك، وبالتالي ليس هناك ضرورة لتفسير العقدة بوجود عيب عضوي وعاهة يعاني منها اللسان.

رابعاً: طلب إحلال عقدة اللسان يمكن حملها على وجود عيب في السامع، وليس عيباً في اللسان، فالكلام والحديث يختلف بالضرورة من مقام إلى مقام، ومن موضوع إلى موضوع، ومن مخاطب إلى مخاطب آخر، فلكل مقام مقال كما يقال.

وعلى ذلك يكون موسى طلب من الله أن يمكنه من الكلام بالشكل الذي يكون مفهوماً وواضحاً للمخاطبين.

والذي يرجح هذا المعنى: هو أن موسى بيّن علّة طلبه بقوله: (يفقهوا قولي)، فهذه الجملة تفسير لما قبلها، وعليه يكون المراد من حل عقدة اللسان ليس التلكؤ والعسر في النطق، وإنما المراد هو عقدة اللسان بسبب إدراك وفهم السامع، سواء كان ذلك بسبب طبيعة الموضوع، أو بسبب ثقافة السامع، أو بسبب الحالة النفسية عند الطرفين، أو غير ذلك.

ومثال على ذلك هو أنني أكتب هذه الإجابة وأنا ارجو أن يحلل الله العقدة من لساني حتّى أوفّق في شرح وبيان هذا المعنى وإيصاله على الوجه الصحيح للقارئ.

خامساً: هذه الآية جاءت في سياق دعاء موسى لربّه بعد أن كلفه بالذهاب إلى فرعون، قال تعالى: (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى- قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي- وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي- وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي- يَفْقَهُوا قَوْلِي- وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي- هَارُونَ أَخِي- اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي- وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي). ودعاء موسىؑ بهذه الأمور لا يدلّ على أنّه كان فاقداً لها، فممّا لا شكّ فيه أنّ الله لم يختر موسى لرسالته إلّا بعد أن كان صدره منشرحاً بالإيمان، بل الله هو الذي تكفّل برعايته وتربيته منذ ولادته، قال تعالى: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)، وفي آية أخرى يقول تعالى مخاطباً موسى: (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي)، ويُفهم من ذلك: أنّ الله تعالى هو الذي تكفّل وتدخّل بنفسه لصناعة موسى ورعايته، وهذا يدل على وجود دور خطير وكبير يتمّ إعداد موسى للقيام به في المستقبل، أي: أنّ هناك مهمّة صعبة تنتظر موسىؑ تستدعي كلّ هذه العناية والرعاية من الله تعالى.

ولذا ليس من المستغرب أن يستعظم موسى هذه المهمة عندما يُكلّف بها، فبمجرد أنْ كلّفه الله بالذهاب إلى فرعون استشعر خطورة المهمّة، فطلب من الله بأن يعينه على ذلك من خلال شرح صدره وحلّ عقدة لسانه وتأييده بأخيه هارون.

سادساً: هناك علاقة واضحة بين إرسال موسى إلى فرعون وبين طلبه إحلال العقدة من لسانه، ويتّضح السبب في ذلك من خلال آيات أخرى جاء فيها: (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ - قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ - قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ - وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ - وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ)، فهذه الآيات تكشف وبشكل واضح السبب وراء عقدة لسانه، وهي ضيق الصدر، (وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي) كما أنّ الآيات تكشف أيضاً السبب في ضيق صدره هو الخوف من تكذيبه، (إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ - وَيَضِيقُ صَدْرِي) ثم يضيف سبب أخر وهو (وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ).

ويتضح من ذلك أن عقدة اللسان سببها ضيق الصدر وعدم تحمّله لطغيان فرعون وتكذيبه له، ولذا طلب من الله أن يرسل معه هارون ليتحدّث نيابة عنه، ومن هنا يمكننا أيضاً تفسير قوله تعالى: (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ)، فوصف هارون بالفصاحة لا يعني أنّ موسى أقلّ فصاحة منه، وإنّما يعني أنّ هارون أقلّ انفعالاً وتأثّراً باستفزازات فرعون وملائه. والدليل على ذلك: أنّ موسى علّل عدم فصاحته وعقدة لسانه بضيق الصدر (وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي)، كما أرجع ضيق الصدر إلى خوفه من التكذيب، (إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ - وَيَضِيقُ صَدْرِي)، ومن أجل ذلك طلب من الله أن يرسل معه هارون.

فالعنصر المشترك بين جميع الآيات: هي خوف موسى من التكذيب، فاحتاج إلى هارون ليكون الشاهد على صدقه، وهذا ما صرحت به هذه الآية وهي قوله: (فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ).

المصدر: مركز الرصد العقائدي

الآفاق
• السنة الثانية
• الـ ٤٢
• الإثنين ٢١ ربيع‌الثاني ١٤٤٥ هـ‌ق
• ٨ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
• مركز إدارة الحوزات العلمية
• المشرف: رضا رستمی
• مدير التحرير: علی‌رضا مكتب‌دار بمساعدة الهيئة التحريرية
• هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
• ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
• العنوان: قم، شارع جمهوری، زقاق ٢، رقم ١٥
• الموقع: www.ofoghhawzah.ir
• البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
• مسئول الطبع: مصطفى اويسى
• طباعة: صميم ٤٤٥٣٣٧٢٥ ٢١ ٩٨ +

■ مقالة / الجزء الثاني

ثوابت العدوان
في العقيدة الصهيونية

د. علي المؤمن

⚠ الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة ، بل تعبر عن رأي أصحابها

■ **مصادر العدوان في العقيدة الصهيونية:**

اعتمد الفكر الصهيوني الحديث في تشكيله وفي إسباغ الشرعية اليهودية على نفسه، على ثلاثة ألوان من المصادر، تعبّر عن ثلاث مراحل زمنية:

■ **المرحلة الأولى: المصادر الدينية التاريخية:**

وهي المصادر التي حرفها وكتبها الكهنة اليهود على مدى تسعة قرون وبعدة لغات (قبل الميلاد وبعده)، وهي التراث الديني اليهودي الذي يشتمل على العهد القديم بأقسامه الثلاثة وأسفاره التسعة والثلاثين، والتلمود بقسميه: (المنشاه) و(الجمارا). وقد سوغت بعض نصوص هذه المصادر ارتكاب كل ألوان العنف والعدوان ضد الشعوب غير اليهودية. فهذه النصوص تقسم البشرية إلى قسمين:

١ – «اليهود» أو «العبرانيون»، وهم شعب الله المختار وأبناؤه وأحباؤه وأمته المقدسة، ولا تقبل العبادة إلا منهم.

٢ – «الجوييم» أو «الأميون» أو «الأغيار»، أي اليهود، وقد خلقوا من طينة شيطانية، والهدف من خلقتهم خدمة اليهود، ولم يمنحوا الصورة البشرية إلا بالتبعية لليهود ليسهل التعامل بين الطائفتين، وذلك تكريماً لليهود.

وقد أرّخت هذه المصادر للتاريخ اليهودي المتخم بالحروب والفتن والمصائب. ومن خلال نوعية الحروب التي قادها أنبياء بني إسرائيل وملوكهم – كما تصف هذه المصادر – أو الفتن والمصائب التي تعرضوا لها أو تسببوا فيها، سوغت الصهيونية لنفسها العدوان بكل الصور على «الجوييم»، سواء العدوان الذي يستهدف الأخلاق والعفاف والجانب المعنوي والروحي، أو العدوان الذي يستهدف الابتزاز المالي والكسب اللا مشروع للثروات، أو العدوان والعنف والإرهاب الذي يستهدف مقدسات الآخرين وأراضيهم وأرواحهم وأعراضهم، وذلك بدافع الاستكبار والكراهية والحقد والانتقام، إضافة إلى دافع البحث عن الحقوق التاريخية الموهومة.

ومن هذه النصوص نص ورد في سفر الخروج في العهد القديم، يخاطب فيه إله بني إسرائيل نبيَّه موسى: «حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح وإن فتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وإن لم تسلمك بل عملت معك حرباً فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف». وهذا النص الموضوع يسوغ للعبرانيين استرقاق الكنعانيين واستعبادهم وقتل جميع ذكورهم.

وهناك نص موضوع آخر، فيه أمر أكثر وحشية وهمجية: «انتقم نقمة بني إسرائيل من المدنيين، فقاتلوا مدين كما أمر الرب موسى، واقتلوا كل ذكر فيها، وسبى بنو إسرائيل نساء مدين وأطفالهم، ولم يرضى موسى عن كل ما حصل، فقد ترك جنده الأطفال أحياء فسخط موسى وقال لهم: فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت مضاجعة رجل اقتلوها». وفي سفر يوشع أنه قاد العبرانيين باتجاه أريحا «فقتلوا جميع ما في المدينة من اجل رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر».

وقد لا نحتاج هنا إلى إثبات كذب ما ينسبه العهد القديم من روح شريرة إلى الأنبياء، ولا سيما النبي موسى الذي قال فيه الله: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا)، وهو الذي طالما نهى قومه عن الكذب والافتراء عليه وعلى الله تعالى: (قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا).

كما جاء في التلمود مجموعة فقرات تنص على أرواح اليهود تتميز عن باقي أرواح البشر بأنها جزء من الله، والابن جزء من أبيه، وأنّ المسيحيين من نسل الشيطان، والإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان بقدر الفرق بين اليهودي وغير اليهودي، والله ذنباً ليهودي يرد للأممي (غير اليهودي) ماله المفقود.

■ **المرحلة الثانية: المؤلفات الوسيطة:**

وهي المؤلفات التي وضعها حكماء اليهود في عصر ازدهار الحضارة الإسلامية، ولا سيما مؤلفات موسى بن ميمون، إذ يؤكد ابن ميمون في كتابه «الاضطهاد» انفراد عنصر بني إسرائيل في قربه إلى الله وكونه معصوماً، وإن الله عاقب بعض الأنبياء لأنهم انتقدوا بني إسرائيل وطالبوهم بتجنب الفساد، ومنهم الأنبياء لأنهم انتقدوا بني إسرائيل وطالبوهم بتجنب الفساد، ومنهم النبي «إيليا»، الذي نفاه الله إلى برية دمشق، والنبي «أشعيا» الذي قتله الله على يد الملك «المنسي»، وكذلك النبي موسى والنبي هارون اللذان عاقبهما الله بأن فصلهما عن بني إسرائيل ومنعهما دخول فلسطين؛ إذ جاء في سفر العدد: «فقال الرب لموسى وهارون: بما أنكما لم تؤمنا بي ولم تقدساني على عيون بني إسرائيل، لذلك لن تدخلا أنتما هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتها إياها».

وفي نصوص ابن ميمون تبرز العصبية اليهودية التاريخية بأبشع صورها، وعلى حساب الأنبياء والأوصياء، ولا يكتفي ابن ميمون بذلك، بل يقول بأن «الفرق بين المسيحية والإسلام وبين اليهودية كالفرق بين إنسان حي وبين صورته المنحوتة في خشب أو فضة أو ذهب أو حجر».

■ **المرحلة الثالثة: النصوص الحديثة:**

وهي التي دوّنها أو قالها مؤسسو اليهودية الصهيونية وحكماؤها ورواده وقادتها، وهي مجموعة قولبة عصرية لمقولات تاريخية منتقاة وأدلجة علمانية لتعاليم دينية منتقاة أيضاً؛ إذ أعادت الصهيونية الروح للمقولات والتعاليم اليهودية التي تدعو للاستعلاء والاستكبار وممارسة الفساد والشر والقتل والتدمير، وفعّلتها بصورة ممارسات وأساليب على الأرض. ولعل قراءة استعراضية لما نشر تحت عنوان «بروتوكولات حكماء صهيون» وبعض مقولات «هرتزل» و «جابوتنسكي» و «بن غوريون» و«بيغن»، تتيح الوقوف على هذه الحقيقة بكل وضوح، ففي البروتوكول الأول من «بروتوكولات حكماء صهيون»، جاء بأن «حكم العالم يُنتزع بالحرب والإرهاب الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا ونحن نضع خططنا ألاّ نلتفت إلى ما هو أخلاقي وما هو خير يجب أن نعلم كيف نصادر الأموال بلا أدنى تردد، إذا كان هذا العمل يمكننا من السيادة والقوة، وأن دولتنا لها الحق أن نستبدل بأهوال الحرب أحكام الإعدام، والإعدام ضرورة تولد الطاعة العمياء، فالعنف وحده العامل الرئيسي في قوة الدولة يجب أن يكون شعارنا: كل وسائل العنف والخديعة. أن هذا الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدف الخير. ولذلك يجب ألا نتردد لحظة في أعمال الرشوة والخديعة والخيانة».

وجاء في البروتوكول السابع: «من أجل أن نظهر استعبادنا لجميع الحكومات الأممية في أوروبا، سوف نبين قوتنا لواحدة منها متوسلين بجرائم العنف، وذلك هو ما يقال له حكم الإرهاب». وفي البروتوكول التاسع: «لقد خدعنا الجيل الناشئ من الأمميين، وجعلنا فاسداً متعفناً به علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها».

ويقول «جابوتنسكي» (أحد رواد الحركة الصهيونية)، وهو يؤدلج للعنف والقتل: «أن الاقتتال بالسيف ليس ابتكاراً ألمانياً، بل إنه ملك لأجدادنا الأوائل... أن التوراة والسيف أنزلا علينا من السماء» ويضيف: «أن العالم لا يشفق على المذبوحين، لكنه يحترم المحاربين». ويقول أيضاً: «أن الأحذية الثقيلة هي التي تصنع التاريخ».

ووظّف زعماء الكيان الصهيوني أفكار «جابوتنسكي»، من «بن غوريون» وحتى «أولمرت»، وكتبوها على الأرض بدماء ضحاياهم الأبرياء، حتى أن «مناحيم بيغن» ذكر بأن «التنكر أو حتى تجاهل أفكار جابوتنسكي يعني الخيانة»، ويقول أيضاً: «من الدم والنار والدموع والرماد سيخرج نموذج جديد من الرجال اليهودي المحارب أولاً وقبل كل شيء، يجب أن نقوم بالهجوم».

وقد نفذت العصابات الصهيونية منذ العقد الأول للقرن العشرين هذه المهمة في فلسطين على أبشع وجه، ثم ورثها جيش الكيان الصهيوني والأحزاب الصهيونية على مختلف اتجاهاتها، التي تبدأ بأقصى اليسار وتنتهي بأقصى اليمين، حتى اندفع «بن غوريون» وهو يرى نجاح مشروع الإرهاب الصهيوني ليقول: «أن أمام عرب إسرائيل ثلاث خيارات: اعتناق الدين اليهودي، الطرد خارج البلاد، الإبادة التامة».

■ **علمانية العقيدة الصهيوني:**

برغم أن العقيدة الصهيونية اعتمدت في بنيتها الفكرية وصياغة خطابها العنصري وسلوكياتها العدوانية، على أساطير وخرافات منتقاة من التراث الديني اليهودي ومصادر العصبية اليهودية التاريخية، إلّا إنها عقيدة علمانية قومية لا يمت بصلة مباشرة لأي من ألوان التدين أو الفكر الديني أو السلوك الديني. وبالتالي؛ فالأيديولوجية الصهيونية هي استثمار سياسي علماني لأساطير دينية يهودية؛ وهو ما أقرّه ودعا إليه رواد الحركة الصهيونية؛ فمثلاً المؤسس «هرتزل» يقول: «إنني لا أخضع لأي وازع ديني» و «إنّ المسألة اليهودية لا تعني بالنسبة لي مسألة اجتماعية أو مسألة دينية.. إنها مسألة قومية»، كما لا يخفى كون مشروعه الصهيوني هو مشروع استعمار، وهو أيضاً حركة سياسية كما يقول ناشروا تراثه بقولهم: «منذ عام ١٩٨٦ أصبح مصطلح الصهيونية مرادفاً للحركة السياسية التي أسسها ثيودور هرتزل».

كما أن زعماء الكيان الصهيوني أكدوا منذ قيام (إسرائيل) على أرض فلسطين علمانية دولتهم، وأنها دولة قومية تستند إلى معتقدات العصبية اليهودية التاريخية، وليست دولة دينية، وهو ما يعبر عنه مطلب تحويل فلسطين إلى «وطن قومي لليهود».

وعلى هذا الأساس فإن ادعاءات «الحقوق التاريخية» و«شعوب الله المختار» و«إسرائيل الكبرى» و«حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل» و«التميز العرقي» و«إحياء مملكة داود» و«إعادة بناء هيكل سليمان» والتجمع حوله، تدخل كلها في حسابات الفكر القومي الصهيوني وليس الديانة اليهودية، بل إن زعماء الحركة الصهيونية – وكثير منهم ملحدون – سلخوا هذه الادعاءات أو المقولات من مضامينها الدينية ووضعوها في خانة المقولات القومية السياسية؛ لتسويغ علمانية العقيدة الصهيونية وعلمانية كيان (إسرائيل)، ولعل هذا هو من أهم أسباب الخلاف بين الأحزاب العلمانية الأساسية (الليكود، شاس، أبيض أزرق، كاديما، ميرس، العمل، إسرائيل بيتنا وكولانو) من جهة، والأحزاب السياسية الدينية (مثل كاخ، البيت اليهودي وتكوما) من جهة أُخرى، والاتجاهات اليهودية غير الصهيونية من جهة ثالثة.

ومما يؤكد هذه الحقيقة الإحصاءات الرسمية وغير الرسمية التي تصدر بين فترة وأخرى في الكيان الصهيوني؛ فالذين صوتوا للأحزاب الدينية في الانتخابات البرلمانية عام ١٩٤٩ كانت نسبتهم ١٢٪ فقط، وأصبحت ١٣٪ عام ١٩٩٢، بينما ظلت تحصل الأحزاب العلمانية على ما يقرب من ٨٥٪ معدلاً عاماً. أما نسبة الـ٩٠٪ من اليهود الإسرائيليين فهم غير متدينين (علمانيون أو ملحدون أو غير مبالين)، ولكنهم جميعاً يعتقدون أن فلسطين هي منحة إليهم من ألههم (يهوه) الذي لا يؤمن به معظمهم.

والنتيجة المهمة التي ينبغي الخروج بها من هذه الحقيقة، تتمثل في التوصيف الصحيح للصراع؛ فهو ليس صراعاً دينياً، أي ليس صراعاً بين الدينين الإسلامي واليهودي، ولا بين القوميتين العربية واليهودية، بل هو صراع إنساني عقدي، بين أهل فلسطين وعموم العرب والمسلمين ومن يتعاطف معهم من المستضعفين وعموم البشر، وبين العقيدة الصهيونية وأتباعها وحماتها المتمثلين بالاستكبار الغربي.

المصدر: مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية

شعر وقصيدة

فلسطين صبراً إن للفوز موعداً

أحمد محرم

فلسطين صبراً إنّ للفوز موعدَا
فإلا تفوزي اليوم فانتظري غدَا
ضمان على الأقدار نصر مجاهد
يرى الموت أن يحيا ذليلاً معبدَا
إذا السيف لم يسعفه أسعف نفسه
ببأس يراه السيف حتماً مجردَا
يريدون ملكاً في فلسطين باقياً
على الدهر يحمي شعبهم إن تمردَا
يديرون في تهويدها كل حيلة
ويأبى لها إيمانها أن تهودَا
لهم من فلسطين القبور ولم يكن
ثراها لأهل الرجس مثوى ومرقدَا
أقمنا لهم فيها المآثم كلما
مضى مشهد منهن أحدثن مشهدَا
فقل لحماة الظلم من حلفائهم
لنا العهد نحميه ونمضي على هدَى

■ تعريف بالمراكز والمؤسسات الدينية الشيعية

مؤتمر الميرزا النائيني رحمه الله سيعقد في كربلاء

يقيم مجمع الإمام الحسين عليه السلام العلمي لتحقيق تراث أهل البيت عليهم السلام في كربلاء المقدسة بالتعاون مع مركز مديرية الحوزات العلمية بقم المقدسة مؤتمر المحقق الميرزا محمد حسين الغروي النائيني قدس سره.

ديباجة المؤتمر: التراث العلمي لأي أُمّة كانت يكمن في التراكمات العلميّة المعرفيّة التي أنتجها علماؤها، ولا يخفى على أصحاب البصيرة والعلم أنّ علماءنا الأجلّاء قد تركوا لنا كمًّا هائلاً من العلوم المعرفيّة، ولأجل أن نحضى بشرف إحياء تلك العلوم ونشرها كان لزاماً علينا إقامة المؤتمرات والدراسات والبحوث عن تلك الشخصيات العلمائية الفذّة، ومن تلك الشخصيات العلامة المحقّق الميرزا النائيني الذي كان له الأثر الكبير في إغناء وإثراء الحوزة العلميّة بعلوم شتّى.

وقد تمّ إناطة إحياء تراثه إلى مجمع الإمام الحسين العلمي لتحقيق تراث أهل البيت عليهم السلام التابع للعتبة الحسينيّة المقدّسة بالتعاون مع مديريّة الحوزات العلميّة في قم المقدسة.

ومن هنا يُعلن مجمع الإمام الحسين العلمي لتحقيق تراث أهل البيت عليهم السلام عن إقامة مؤتمر علمي دولي عن شخصيّة العلامة المحقّق الميرزا النائيني، ويدعو الباحثين من أساتذة وطلبة الحوزات العلميّة والجامعات من داخل العراق وخارجه إلى المشاركة في فعّالياته على وفق الشروط التي ستُذكر لاحقًا.

■ **المواعيد:**

١.ترسل ملخّصات البحوث بدءاً من ٢٠ / ١٠ / ٢٠٢٣ م .
٢.آخر موعد لتسليم البحوث هو ٣٠ / ١ / ٢٠٢٤م.
٣.ترسل البحوث وملخّصاتها عبر العنوان التالي:
(العراق – كربلاء المقدسة – شارع الشهداء – فرع السبطين – مجمّع أمّ البنين عليها السلام الطابق الثاني).
أو عبر معرف التيلجرام الخاصّ بالمجمع حصراً وهو: @almajmaa
يمكن الوقوف على محاور المؤتمر عبر العنوان التالي في الإنترنت:
/http://ijtihadnet.net

■ صدر حديثاً

التطهير العرقي وأساليب النضال في القدس

الكتاب يدرس الأبعاد التاريخية والقانونية للاعتراف الأميركي تجاه القدس، ونقل سفارتها إلى (تل أبيب). ويقترح التمسك بآلية عدم الاعتراف التي ينصّ عليها القانون الدولي، والاستمرار في الرهان على اللجوء إلى الهيئات الدولية لمواجهة (إسرائيل).

استناداً إلى أهمية مدينة القدس في الصراع العربي-الإسرائيلي، أصدر «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» بالتعاون مع مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت كتاباً تحت عنوان «القدس: التطهير العرقي وأساليب المقاومة» (٢٠٢٣)، وهو بحث في الوضع القانوني للقدس، وفي واقعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ودور الحركات الجماهيرية فيها، والفاعلين الاجتماعيين في مواجهة سياسة التهويد الإسرائيلي. ويبرز الكتاب الصراع القائم في القدس على التطهير العرقي، وآليات مقاومة الفلسطينيين التي تجلت في النزاع الديموغرافي، والحرب على الوعي والمقدسات.

يأتي الكتاب في ستة عشر فصلاً، وهو من تأليف أحمد جميل عزم ومجموعة باحثين، وتشير محررته آيات حمدان في المقدمة، إلى أهمية ما يكشفه من سياسات الكيان في التطهير العرقي للمدينة، واستغلال غطاء (القوانين الإدارية) مثل التنظيم الحضري، وهدم البيوت، لغاية تغليب الوجود الصهيوني. كما يبرز البحث تأثير الأوضاع الاقتصادية على الفلسطينيين داخل المدينة، وترديها من جراء السياسة التي فرضها الكيان، ومحاصرتهم بقوانين تكرس النظام الضريبي، وترسخ للبيئة الاستعمارية للمدينة. إلى جانب فصول تبرز مواجهة المقدسيين الأصلانيين لمنطق الاستعمار الاستيطاني وأساليبه المختلفة، وذلك عبر تسليط الضوء على أدوار الفاعلين المجتمعيين أمام التحديات التي واجهتها المدينة. ومن جهة السياسة الدولية والقانون الدولي الذي عكس تحديات تعلقت بنقل السفارة الأميركية إلى القدس، وما تعرض له القانون نفسه من جهة وضع المدينة، كونه كان واضحاً بشأن مدينة القدس بوصفها مدينة محتلة.

المصدر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات